مجلة

الجمعية العلمية السعودية للغة العربية

مجلة – علمية – محكمة

رقم الإيداع: (١٤٢٩/٣٣٠٢هـ بتاريخ ١٤٢٩/٦/٧هـ)
الرقم الدولي المعياري (ردمد): ٤١٥٥ - ١٦٥٨

كل بحث نشر في المجلة
يعبر عن رأي صاحبه

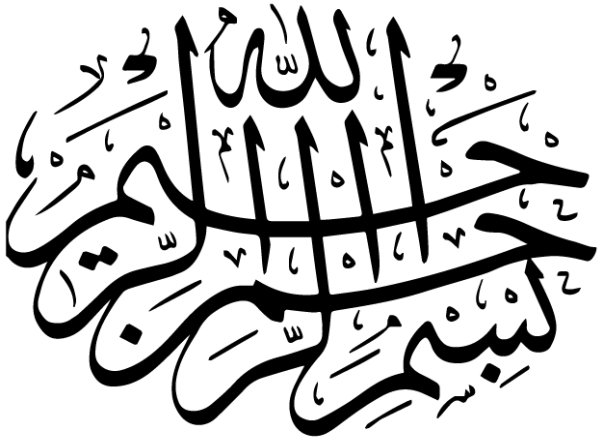
بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة تحرير المجلة

المشرف العام على المجلة، رئيس مجلس إدارة الجمعية:

- د. بدر بن محمد الراشد

رئيس التحرير:

- أ. د. عبد المجيد بن صالح الجار الله

مدير التحرير:

- د. سليمان بن صالح الزميع

أعضاء هيئة التحرير:

- أ. د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد
- أ. د. أماني بنت عبد العزيز الداود
- أ. د. صالح بن عبد العزيز المحمود
- أ. د. عبد الرحمن بن رجا الله السلمي
- أ. د. عبد العزيز بن صالح العمري
- أ. د. فريد بن عبد العزيز الزامل

طبيعة المجلة وضوابط النشر

طبيعة المجلة:

١- مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.
٢- مجلة علمية محكمة.
٣- تعنى بعلوم اللغة العربية وآدابها.
٤- تنشر البحوث والدراسات العلمية المحكّمة.
٥- دورية نصف سنوية، تصدر منتصف السنة الهجرية ونهايتها.

ضوابط النشر:

أولاً: الضوابط العامة لقبول البحث:

١- أن يكون البحث في علوم اللغة العربية وآدابها.
٢- أن يتّسم بالجِدّة والأصالة وسلامة الاتجاه.
٣- أن يلتزم البحث بالسلامة اللغوية، والدقة في التوثيق والتخريج.
٤- ألا يكون البحثُ منشوراً أو مقدّماً للنشر في مجلة أخرى.
٥- ألا يكون مستلاً من عمل علمي سابق للباحث.

ثانياً: ما يشترط في كتابة البحث وتوثيقه:

١- أن يُكتب البحث على ورق من مقاس (A4).
٢- أن يُكتبَ بخط (Traditional Arabic) بحجم (١٧) للمتن، وبحجم (١٤) للحاشية، وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرداً).
٣- أن تُكتبَ الهوامش أسفل كل صفحة على حدة.
٤- أن يُذيَّل البحث بثبت المصادر والمراجع.

٥- أن يكتب الباحث ملخّصاً لبحثه باللغتين العربية والإنجليزية لا تزيد كلماته على مائتي كلمة، ويتضمن الملخص موضوع البحث وأهدافه، ومنهجه، وأهم التوصيات، والكلمات المفتاحية.
٦- رومنة المصادر والمراجع.

ثالثاً: ما يشترط عند تقديم البحث:

١- يقدم الباحث طلباً بنشره، وإقراراً يتضمن امتلاكه لحقوق الملكية الفكرية للبحث كله، والتزاماً بعدم نشر بحثه المقدم إلا بعد موافقة هيئة التحرير.
٢- يقدم الباحثُ نسختين من بحثه على النحو التالي:
- نسخة من البحث خالية من اسم الباحث كاملة بصيغة (WORD).
- نسخة من البحث خالية من اسم الباحث كاملة بصيغة (PDF)
٣- يرفق الباحث ترجمة الملخص باللغة الإنجليزية.
٤- يرسل الباحث بحثه مع الملخصات إلى منصة مجلة الجمعية:
(https://imamjournals.org/index.php/josaa/index)

سطوة المكان في رواية (أغصان المنازل) لمنى الغامدي

The power of place in the novel

(Branches of Houses) by Mona Al-Ghamdi

إعداد

د. وضحى بنت صالح الجناح

أستاذ النقد الأدبي المساعد

بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

Dr.Wadha bint Saleh Aljanah

Assistant Professor of Literary Criticism

At the Faculty of Arabic Language at Imam Mohammed bin Saud Islamic University

ملخص البحث

يعد المكان في رواية " أغصان المنازل" للروائية السعودية "منى الغامدي" عنصرًا مركزياً ثرياً في الرواية، حيث استطاع أن يقيم علاقات متعددة مع مختلف الشخصيات والأحداث، ويؤثر فيها إيجاباً وسلباً، بوصفه بؤرة اشتغال محورية في النص ككل، فلا يمكن الاستغناء عنه، ولا يمكن بناء أي لحظة سردية معزولة عن مكان معين.

وقد ظهر بدءا من العتبة الأولى للرواية "العنوان"؛ إذ وظفت الساردة عددًا كبيرا من الأماكن شكلت في معظمها منازل متعددة قطنت فيها الشخصيات وتنقلت فيما بينها، وهي تقع في ثلاث مدن في المملكة العربية السعودية "جدة ومكة والباحة". فبرزت كفاعل أساسي مغيّر ومهيمن على مجريات السرد وأحداث الرواية، وحتى سلوكيات الشخصيات خاصة البطلة ومشاعرها ونفسيتها داخل الرواية.

الكلمات المفتاحية: المكان، المنازل، التقاطب، السرد.

Abstract

The setting in the novel *Branches of Homes* by the Saudi novelist *Mona Al-Ghamdi* serves as a central and rich element within the narrative. It establishes multifaceted relationships with various characters and events, influencing them both positively and negatively. As a pivotal focal point in the text, the setting is indispensable, and no narrative moment can be constructed in isolation from a specific place .

This significance becomes evident starting from the novel's threshold—the title itself—where the narrator utilizes a considerable number of locations, most of which are diverse homes inhabited by the characters as they move between them. These homes are situated in three cities in Saudi Arabia: Jeddah, Mecca, and Al-Baha. The setting emerges as a key agent, transformative and dominant, shaping the course of the narrative, events, and even the behaviors, emotions, and psychological states of the characters, particularly the protagonist, within the novel..

key words: Setting, homes, polarization, Al-Ghamdi’s narrative.

المقدمة:

يعدّ المكان أحد العناصر السردية الضرورية التي لا يكتمل البناء الروائي إلا بها، فكل رواية لابد أن تجري أحداثها في زمان ومكان معين؛ بل يستحيل تصور لحظة من لحظات الوجود الإنساني خارج إطار المكان، لذا لابد من الوقوف عند عنصر المكان في الروايات العربية المعاصرة والسعودية على وجه الخصوص؛ كي تتفتح لنا سبل اكتشاف بنية النص والدلالات المشكلة لها، واكتشاف مواطن الألفة والتعالق بين الإنسان والمكان الذي يقطنه أو يعيش فيه(١).

وقد أدرك الباحثون المعاصرون -مبكرًا- أهمية "**عنصر المكان**" فانكبوا على دراسته والاشتغال عليه، فظهرت العديد من الكتب والتآليف حوله، وسَعت في مجملها لتُبين تأثيره البارز في الشخصيات ومجريات السرد؛ لأن المكان متعدد الأوجه والوظائف، كما أنه يجسد الحدث ويظهر أبعاد الشخصية، فهو يملك دلالات كبرى وجماليات أكبر، ويأتي القارئ ليستشف هذه الدلالات التي تفسر أو تعمق الحوادث السردية وتبين علاقة الشخصيات بعضها ببعض، فلا يخلو أي نص روائي من المكان، لهذا أضحى الآن جزءا من اللعبة السردية وعنصرا فاعلا فيها؛ بل ذهب البعض لاعتباره شخصية لا تقل أهمية عن باقي الشخصيات.(٢)

وعليه اخترت رواية "**أغصان المنازل**" للكاتبة السعودية "**منى الغامدي**" نظرا للمساحة الكبيرة التي حظي بها المكان في الرواية، بدءا من العنوان فلفظة (المنازل) التي جاءت بصيغة الجمع تدل على العدد الكبير من المنازل التي تنقلت فيما بينها البطلة/ الساردة، التي تجاوزت ثلاثة عشر منزلا، ولهذا حاولت إبراز سطوة المكان وأثره في شخوص الرواية خاصة بطلتها، لأن "الرواية السعودية شأنها في هذا الجانب شأن غيرها من الروايات تمثل الأمكنة فيها ركناً أساساً في القص والبناء الهيكلي لفن كتابة الرواية"(٣) فالعلاقة تأثيرية جدلية، باعتبار أن المكان ربما يصبح هو المهيمن على الشخصيات وعلى قراراتهم، وكذا يحدد مصيرهم المستقبلي، ويترك آثاره في نفسياتهم .

- أهمية الموضوع:

تعد هذه الرواية من الروايات السعودية المعاصرة، التي تعكس ثراء تجربة الكتابة، حيث تتطرق إلى جانب من حياة أسرة سعودية تعكس نموذجا مصغرا للمجتمع السعودي في جدة، وتغوص عميقا في تفاصيل شخصياتها المختارة بدقة، وتصف جوانب من معاناتها جراء التفكك الأسري الذي لحقها، كما وظفت عدداً من الأماكن، مما أتاح لها فرصة-أكبر- لفهم طبيعة

(١) ينظر: إبراهيم، نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٣٥.

(٢) ينظر: حنطابلي، زوليخة، المكان الروائي بين الإشكالية والجمالية، مقاربة نظرية، مجلة التواصلية (عدد خاص)، الجزائر، مارس ٢٠٢٠، ص١٣.

(٣) البليهد، حمد بن سعود، جماليات المكان في الرواية السعودية، دراسة نقدية، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ، ص٨٤.

العلاقات بين شخوصها ومشاعرهم وصراعاتهم الفردية والجماعية، إضافة إلى تقديم توضيح أعمق لعلاقة الشخصيات بالمكان الذي تعيش فيه، فقد يكون المنزل مكانا للأمان والطمأنينة والسكينة وسط أسرة متماسكة، وقد يضيق هما وألما فيصبح موحشاً مظلماً أشبه بالسجن لساكنيه، إضافة إلى أنه يحمل بعض قناعات الكاتب/السارد ورؤاه للعالم والوجود التي سيبثها في ثنايا سرده.

أسئلة البحث:

تمخضت أسئلة البحث من خلال الآتي: كيف تشكلت بنية المكان في رواية أغصان المنازل؟ وكيف طغت هذه البنيّة في النص على مختلف عناصر السرد، وصارت عنصرا مركزيا داخل السرد الروائي؟ وكيف تناغمت هذه الأماكن/ المنازل وأثرت في نفسية الشخصية الساردة/ البطلة على وجه الخصوص؟

أهداف البحث:

- يهدف هذا البحث للكشف عن البنية المكانية في رواية " أغصان المنازل" بالتركيز على بنية التقاطبات التي تشكله.
- الوقوف على التباين بين مختلف الأماكن في الرواية وتأثير كل منها في الأحداث والشخصيات.
- إبراز أثر سطوة المكان انطلاقا من جدلية العلاقة بين المكان/ المنزل وساكنيه، وتحكمه في مصائر الشخصيات، وكذا تنامي الأحداث تأثيرا وتأثرا فيها.
- تحليل انعكاسات هذه الأماكن/ المنازل على موضوعات أشمل كالهوية، والانتماء، والوحدة، والعزلة.

منهجية البحث:

تبنيت في هذا البحث أهم معطيات المنهج البنيوي، وسعت الدراسة للكشف عن بنية المكان، وإظهار تشكلاته، ومن ثم تحديد مختلف العناصر المشكلة لتفاعله مع مجريات السرد وأحداثه.

- **أولا: المكان: دراسة في المفهوم والمصطلح والأهمية:**

١. في مفهوم المكان

١. ١. المكان لغة:

جاء في لسان العرب: "والمَكانةُ :التُّؤَدَةُ، وَقَدْ تمكّنَ. ومَرّ عَلَى مَكِينته أَي عَلَى تُؤَدَته. يُقَالُ: امْشِ عَلَى مَكِينتكَ ومَكانتك وهينَتكَ. يُقَالُ فُلانٌ يَعْمَلُ عَلَى مَكِينته أَي عَلَى اتّئاده. وَفِي التّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكانَتِكُمْ﴾؛ أَي عَلَى حيالكم وَنَاحيَتِكُمْ؛ وَقيلَ :مَعْنَاهُ أَي عَلَى مَا أَنتم عَلَيْه مُسْتَمْكِنُونَ. لِي فِي قَلْبِه مَكانَةٌ ومَوْقعة ومَحلّةٌ. يَعْنِي المَنْزِلَةَ. وَقَدْ مَكُنَ مَكانَةً فَهُوَ مَكِينٌ، وَالجَمْعُ مُكَناء. وتمَكّنَ كَمَكُنَ .والْمُتَمَكّنُ مِنَ الأَسماء :مَا قَبِلَ الرّفْعَ وَالنّصْبَ وَالجَرّ لَفْظًا، كَقَوْلِكَ زيدٌ وَزَيْدًا وزيدٍ"[١].

فالمَكانُ والمَكانةُ وَاحِدٌ: مكانٌ في أَصل تَقْدِيرِ الْفِعْلِ مَفْعَلٌ، لأَنه مَوْضِعٌ لكَيْنونةِ الشّيْءِ فِيهِ، غَيْرَ أَنه لمّا كَثُرَ أَجْرَوْهُ فِي التّصْرِيفِ مُجْرَى فَعال[٢] أما إذا نظرنا للقرآن الكريم فنجد أنه ورد ذكر المكان -أيضاً- في آيات عدة، وبمعان مختلفة [٣].

١. ٢. المكان اصطلاحا:

حظي مصطلح (المكان) بجدل كبير - في بداية الأمر- بعد أن ظهر للعيان أنه واحد من أهم مكونات المنجز الروائي؛ فإذا كان الزمن هو الأحداث نفسها في حركتها وتطوّرها، فإنّ المكان هو- الآخر- قادر على منحها إطارا ماديا تتجسد فيه، وإن حمل أيضاً - في كثير من الأحيان- طابعا خياليًّا من صنع الكاتب فقط. ليبتعد المكان بذلك عن كونه مجرد مسرح للأحداث وحيزاً تقيم فيه الشخصيات وتتحرك فقط، إلى ما يمكن أن يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية والبؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخييلي، وصولا إلى كونه هوية من هويات الخطاب الروائي، فهو ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي فحسب؛ بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية[٤].

انطلاقا من هذه النقطة التي تبرز مكانة "**عنصر المكان**" في العمل الروائي يذهب الباحث غاستون باشلار(Gaston Bachelard) الذي كان يعني بهذا المصطلح - في البداية - (المكان الأليف)، وكان يتصور تلك الألفة على أنها ملامح المدينة المألوفة، والتي نعرف تاريخها وحاضرها جيداً، أي أن المكان بالنسبة له كان يحمل خصوصية قومية، كما يعبر عن رؤية، وتبين أن المكانية تذهب إلى

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، (ك. و. ن)، ١٣/ ٤١٣.

(٢) ينظر: السابق، ١٣/٤١٤.

(٣) نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر: ١- الموضع في الدنيا أو الآخرة في قوله تعالى: ﴿قل يا قوم أعملوا على مكانتكم﴾ (الأنعام، الآية ١٣٥). ٢- القوة والشدة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ (يوسف الآية ٥٦). ٣- المنزلة العالية في عدت آيات منها قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم، الآية ٥٨)؛ للتوسع أكثر ينظر: بن هاشم يمينة، جماليات المكان في رواية كمارد رفيق الحيف والضياع للروائي حاج أحمد الصديق، بحث مقدم لنيل شهادة الماستر، جامعة أدرار، الجزائر، ٢٠١٧، ص٨.

(٤) ينظر: المكان الروائي بين الإشكالية والجمالية، مقاربة نظرية، ص ١٤-١٥.

أبعد من ذلك، إنها تتصل بجوهر العمل الفني، وهي أكثر تحديدا؛ فالمكان هو المكان الأليف. وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا[١].

وتحدد سيزا قاسم رؤيتها للمكان في العمل الروائي على وجه الخصوص؛ حيث "يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها، فإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث، فإن المكان يظهر على هذا الخط ويصاحبه ويحتويه، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث... المكان ليس حقيقة مجردة، وإنما يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز"[٢].

إذن: المكان في الأدب ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده أبعاد وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة، كالأمكنة الجغرافية، إنما يتشكل في التجربة الأدبية انطلاقا واستجابة لما عايشه الأديب، إن على مستوى اللحظة الآنية ماثلا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخيل بملامحه وظلاله، لأن المكان الحاضر فنيًّا في التجربة الأدبية يفقد بعضًا من خصوصيته الواقعية، ويتزود بجملة من الخصائص المجازية التي ترتكز أساسا على ذاتية الأديب، ومناخ الإحساس الذي يرافقه أينما حل وارتحل[٣].

مما سبق نرى الاتفاق على فكرة موحدة، فالمكان شرط أساسي من شروط العمل الروائي، كما أنه عنصر محوري في الرواية، إضافة أنه يمثل الخلفية التي تتشكّل فيها الأحداث وتتحرك من خلالها الشخصيات، "لأن المكان هو قرين الحياة الأساس، وقد أثبت منذ القديم دوره القوي في تكوين حياة البشر، وترسيخ كيانهم، وتثبيت هويتهم، وتحديد تصرفاتهم، وإدراكهم للأشياء لكونه شديد الالتحام بذواتهم".[٤]

١.٣. المكان والتعدد المصطلحي

يعدّ المكان المسرح الفعلي للأحداث والحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتعبر به إلى داخل السرد، وقد شاع بين الدارسين في مجال تناول المكان خلط بين ثلاثة مصطلحات هي: "**الفضاء، والمكان، والحيز**"؛ إذ يطلق المكان الروائي دون قيد أو تحديد ليدل على المكان داخل النص الأدبي، سواء أكان مكانًا واحدًا أم أماكن عدة، أما حين يراد التمييز بين مصطلح المكان ومصطلح الفضاء فإن مفهوم المكان ينحصر في المكان المفرد داخل النص الأدبي، بينما يدل الفضاء على

(١) ينظر: غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: هلسا غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤، ص٦.

(٢) قاسم، سيزا، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤، ص١٠٦.

(٣) ينظر: فوغالي، باديس، المكان والزمان ودلالاتهما في الشعر العربي القديم، المعلقات أنموذجا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، العدد١، المجلد١، ٢٠٠٢، ص٣٧-٣٨.

(٤) عبود، أوريدة، جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، قراءة تحليلية بنيوية في قصة "وجود ... ولكن" لعبد الله ركـيبي، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، المجلد ٣، العدد٥، جوان ٢٠١٢، ص ٨٠.

مجموع الأمكنة التي تدخل في شبكة من العلاقات فيما بينها داخل النص، كما يشمل -أيضاً- الإيقاع المنظم للحوادث ووجهات نظر الشخصيات، بحيث يبدو مصطلح الفضاء أكثر شمولاً واتساعا من مصطلح المكان(١).

هذه المصطلحات المتعددة تشعبت حولها المفاهيم والدلالات، واختلفت بحسب زاوية النظر إليها، والمنطلق الفكري المعتمد فيها، ففي المعجم الفلسفي ورد مصطلح الفضاء في مقابل المصطلح الأجنبي «l'espace» أما المكان يقابلها في المصطلح الأجنبي «Lieu» وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم. تقول: مكان فسيح، ومكان ضيق.. وهو مرادف للامتداد «Etendue» ومعناه الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده، ويرادفه الحيز(٢).

وقد أخذ الباحثون على عاتقهم تحديد مفاهيم خاصة بهذه المصطلحات، وضبط حدودها، فحميد لحميداني يرى أن الفضاء أوسع من المكان ويعده الحيز المكاني في الحكي، ويذهب إلى ذلك بقوله: "إن مجموع هذه الأمكنة، هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مُكوِّن الفضاء. وما دامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة ومتفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"(٣).

أما حسن بحراوي فلا يفرّق بين مصطلح الفضاء ومصطلح المكان؛ ويجعل منهما شيئا واحدًا، حيث الفضاء لا يشمل الزمن والشخصيات؛ بل يعده مثل باقي المكونات السردية، يقول: "إن الفضاء الروائي، مثل المكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي « Espace verbal» بامتياز...ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه ويحمله طابعاً مطابقاً لطبيعة الفنون الجميلة، ولمبدأ المكان نفسه"(٤).

ويصرّح حسن نجمي بأنّ الفضاء ليس معادلاً للمكان، وعند الحديث عن الفضاء الروائي يتعلق الأمر بفضاء مطلق، يقول في ذلك: "وفي الحقيقة، فإن أي إلغاء أو إقصاء لمفهوم (الفضاء) في النظرية الأدبية إنما هو قمع معين لهوية من هويات الخطاب الأدبي، وضمنه الخطاب الروائي معناه أيضا...، لأن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي، بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية، ولكل كتابة أدبية"(٥).

ويقترح عبد الملك مرتاض مصطلحاً آخر هو "**الحيز**" بوصفه مصطلحا يُتداول كثيرًا في مجال الدراسات السردية، ولكنه يميل إلى استخدامه "لأن مصطلح الفضاء -من منظوره - قاصر بالنسبة إلى مصطلح الحيز، لقد خضنا في أمر هذا المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيز، مقابلا للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي (Espace, space)... لأن مصطلح الفضاء...من منظورنا على الأقل، قاصر بالقياس إلى الحيز؛ لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ.

(١) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٣٢.

(٢) ينظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ٤١٢/٢.

(٣) لحميداني، حميد، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١، ص٦٣.

(٤) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص٢٧.

(٥) نجمي، حسن، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٥٩.

بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، والوزن، والثقل والحجم والشكل"[١].

إن الخائض في درب طريق الفضاء سائر في درب شائك، ووعر المسالك، وغير واضح المعالم، وهذه أولى العقبات، فالدراسات حول مقولة الفضاء قليلة عند المنتجين الأوائل لها؛ لأن الفضاء هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال، وبقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع الفضاء، بل يمكننا القول: إن تاريخ الإنسان هو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسًا[٢].

٢ . أهمية المكان ودلائله في العمل الروائي:

يُجمع الباحثون على أن المكان يكتسي أهمية كبيرة في الرواية، ليس لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجرى فيه الأحداث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب؛ بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات، ويمنحها المناخ الذي تتفاعل فيه، وتعبر عن وجهة نظرها، ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل، والممثل لمنظور المؤلف، وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة[٣].

وبصورة عامة فإن الوضع المكاني في الرواية يمكنه أن يصبح محددًا أساسيًّا للمادة الحكائية ولتلاحق الأحداث والحوافز، أي أنه سيتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري ويحدث قطيعة مع مفهومه كديكور. وعلى هذا النحو يصبح – المكان- عنصرا متحكما في الوظيفة الرمزية للسرد، ليس عنصرا زائدا في الرواية، وهذا بفضل بنيته الخاصة والعلائق المترتبة عنها[٤]، وبهذا يسمح بتعزيز وتوفير الإطار الملائم لسيرورة الأحداث، وتطور الشخصيات ومختلف تفاعلها فيه، التي تتعدد بتعدد الأمكنة السردية، لذا يعد مكونا مهماً ومحوريًا في بنية السرد، وتتجلى هذه الأهمية أكثر في أنه لا يمكن تصور حكاية بلا مكان، ولا وجود لأحداث خارج أي مكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان وزمان معين [٥].

وخارج إطار بنية السرد، فإن كل مناحي الحياة ومظاهرها، بل كل أحوال النفس البشرية تشهد على حضور المكان الكثيف، وتعدد مظاهره وتكشف عن أثره الطاغي، فهو جزء لا يتجزأ من الوجود في حركته وسكونه، فالإنسان مرتبط بالمكان منذ لحظة وجوده في الحياة، وهو في رحلة دائبة وتنقل مستمر من مكان إلى آخر. ويرتبط المكان بالإدراك الحسي أو التصور الذهني، لأن المكان والزمان هما حقيقة الوجود الإنساني وبهما بدأت الحياة وتشكل الكون، لذا فالمكان ليس عنصرا طارئا أو هامشيا، بل هو من صميم مكونات وجود الإنسان، وتواصله مع الحياة والناس من حوله[٦].

(١) مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص١٢١.

(٢) ينظر: نصيرة، زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد٦، جانفي ٢٠١٠، ص ٢٠٠- ٢٠١.

(٣) ينظر: بتقة، سليم، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠، ص٢٧.

(٤) ينظر: بنية الشكل الروائي، ص٣٣.

(٥) ينظر: جماليات المكان في رواية كماراد، ص١١.

(٦) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ٢٨- ٢٩.

- **ثانيا: التشكلات المكانية في رواية أغصان المنازل:**

بعد أن تبينا الدور الفاعل للمكان في بناء الأحداث وتوجيه العلاقات بين الشخصيات نظريا، سنحاول تحديد كيفية تشكّل المكان في النص الروائي في رواية (أغصان المنازل)، وتسليط الضوء على البنى السردية التي استخدمتها الكاتبة/الساردة لتجسيد هذا المكان بوصفه عنصراً حيوياً، يتفاعل مع العناصر الأخرى في السرد، ويعكس تحولات الشخصيات وواقعها الداخلي والخارجي، ويأتي هذا التحليل في سياق تطبيقي يستند إلى الرواية بوصفها نموذجًا يعكس براعة التوظيف المكاني في الأدب السعودي الحديث والمعاصر.

١. ملخص الرواية:

ينطلق فعل الحكي في رواية "**أغصان المنازل**" بإهداء لكل أصدقاء الطفولة، وإلى حارة المدائن التي بقيت ذكراها عالقة بأعماق الذاكرة التي تأبى النسيان، وعبر تقنية الاسترجاع (الفلاش باك) تسرد علينا البطلة/ الساردة فصول شقائها المستمر، وهي فتاة في ريعان عمرها من عائلة سعودية تتكون من أربعة أشقاء وأربع شقيقات وأخ غير شقيق من والدها، وتعاني مع أسرتها عدم الاستقرار وتضطر للتنقل في كل مرة من منزل إلى منزل آخر حتى تجاوزت ثلاثة عشر منزلا، هكذا عاشت فترات الطفولة والمراهقة في سلسلة من التنقلات اللانهائية، وسبب ذلك وقوع أسرتها في مشاكل مادية، خاصة بعد أن باع والدها المقهى الخاص به، واستبدله بمكتبة في الحي، لكن الأمر تعقد أكثر بعد زواج أشقائها الكبار، ليتزوج والدها - هو الآخر - بامرأة مصرية صعيدية ويهجرهم، فتزداد حِدّة معاناتها، وتتكبد هي ووالدتها وشقيها الأصغر (يزيد) كدمات نفسية مريرة، جراء التشتت والضياع بين بيوت إخوانهم وبيت زوجة أبيها، غير أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل فقدت الحياة الآمنة وطعم الراحة والعيش الرغد، وصارت نفسيتها مضطربة تتجرع مرارة الفقر تارة، والجوع والفقد تارة أخرى، وهذا ما جعل حالتها النفسية تسوء يومًا بعد يوم.

كل هذه المعاناة رصدتها الساردة/ الكاتبة بوصف متناه في الدقة للحالة التي آلت إليها البطلة/ الساردة كما "تتولى الساردة /البطلة سرد هذه القصة من أولها إلى آخرها في الغالب الأعم بضمير المتكلم في سرد خطي تدرجي (كرونولوجي) إلى حد كبير، وتتخذ هذه القصة من تعدد المنازل التي عاشت فيها البطلة أساسا لبنيتها الرئيسة... وقد اهتمت الكاتبة اهتماما كبيرًا بوصف المكان وتفاصيله الدقيقة وتأثيثه بعناصر تخدم الإطار الاجتماعي والثقافي والفكري لأحداث العمل السردي والشخصية الرئيسة فيه. ولذلك فعنصر المكان هو العنصر المسيطر على هذه القصة، ويكاد يشارك الشخصية الرئيسة"[(١)]، نستشف من القول السابق للدكتور صالح الغامدي الدور الرئيس الذي حظي به المكان في الرواية، بوصفه العنصر المهيمن الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك وفقه، غير أن حال البطلة/ الساردة يدلي برأي مختلف على لسان والدها، فالمكان مجرد أبعاد لا

(١) الغامدي، منى، أغصان المنازل، دار أدب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م، ص٩.

غير، وذلك حين تفتح معه والدتها باب النقاش للانتقال من بيت لآخر، تقول البطلة/ الساردة: "وتظل عبارات والدي الشهيرة لأمي بعد ذلك عالقةً في مساحة كبيرة من الشجن، فدائما ما كان ينهي النقاش بأنّ "المكان ليس أكثر من أبعاد وزوايا قابلة للنسيان"(١).

صحيح أن الإنسان يحتل موضعا في المكان، والحق، أننا -هنا- لمسنا مسألة لا بد لنا من تكشّف صورها، وهي أن الإنسان يظل في سعي دؤوب للحصول على مكان يحمل أقل صفات "**المأوى**" الذي يأوي إليه؛ أي أنه يعيش تجربة "البيت" كما يرى غاستون باشلار بكل واقعيتها وحقيقتها خلال الأفكار والأحلام(٢)، لذا يستحيل أن تنسى الذاكرة المكان الذي سمته "مأوى" يأوي جسدها وروحها.

تقول البطلة/ الساردة مخاطبة والدها، بعد أن بلغت مراحل من النضج الفكري: "اليوم فهمت معنى تلك العبارة التي طالما آثرتَ ترديدها على مسامعنا. عرفتُ معنى ألا يكون المكان أكثر من بُعدٍ تتقلص فيه المسافات ليبرز الأشخاص بأرواحهم المتأرجحة بين نقطة في آخر السعادة ونقطة آخرٍ الشقاء. وعرفت أخيرا أن لا مكان لي، لا بحدوده الوهمية ولا الحقيقية. سأظل أتنقل بجسدي من منزل لآخر ومن قلب لآخر حتى يغمرني الصمت. وستظل روحي هائمة، ومعلّقة بين تلكما النقطتين تنتظر أرواحا جميلة لن تخلق، تنتظر منها أن ترحل بعيدًا لتحتل أجسادها وأمكنتها"(٣). في هذا المقطع يبرز حجم الأضرار النفسية التي لحقت البطلة/ الساردة، وهي تبحث عن بصيص السعادة والعيش الهنيء في كنف أسرتها وتحت سقف منزل، بخيالها الذي لم يتحقق في أي مكان على الأرض.

٢. تقاطبات المكان في الرواية :

إن الأخذ "**بمبدأ التقاطب**" كأداة إجرائية لتتبع بنية المكان في الرواية سيفتح لنا حده الأقصى من الوضوح واستكشاف المزيد من خبايا "**السرد** " لأن دلالات العناصر الجزئية ستفصح لنا - أيضاً- عن دلالات تشكيل العمل الروائي بأكمله، والتقاطبات المكانية في الرواية تأتي على شكل "**ثنائيات ضدية**" وتعدد الأمكنة واختلافاتها المتضادة في العمل الروائي يمنحان النص جماليات بتعالقهما مع العناصر الأخرى التي يقوم عليها العمل، لذلك يكون المكان مدخلا يلج منه القارئ إلى تضاريس النص(٤).

إن الوقوف عند عنصر المكان في الرواية يفتح آفاقا جديدة لاكتشاف بنية النص، مما يعطى لهذا الموضوع أهمية كبيرة، ونظرا لجدَّته - أيضاً - في إنتاج الرواية، صار "عنصر المكان يحظى

(١) الرواية، ص٤٢.
(٢) ينظر: جماليات المكان، ص٣٦- ٣٧.
(٣) الرواية، ص١١٦- ١١٧.
(٤) ينظر: الغانم، غانم بن سليمان، جماليات المكان في رواية (آخر حقول التبغ) لطاهر الزهراني، حوليات كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، المجلد ٢٧، يونيو ٢٠٢٣، ص ١٩٠٨.

بالدراسة أكثر من غيره من المكونات السردية، وهذا راجع إلى تعدد دلالاته الفنية، من مفتوح ومغلق إلى فردي وجماعي، ويوفر ثنائيات التقاطب والتجاذب والتنافر، مما يجعل العملية الإبداعية سابحة في فضاء غير متناه من الدلالات، فالمفتوح مقابل المغلق والفردي مقابل الجماعي والعمومي مقابل الخاص"(١).

فالتقاطبات المكانية (polarités spaciales) "هي التي تصنف الأمكنة وتبحث في دلالاتها في شكل ثنائيات ضدية، بحيث تعبر عن العلاقات والتوترات بين قوى وقيم متعارضة. تبعا لهذا التصور يمكن تصنيف الأمكنة في السرد إلى ثنائيات متعارضة انطلاقا من مفهوم المسافة (قريب بعيد) أو الحجم (صغير/ كبير) أو الاتساع (محدود/ لا محدود) أو مفهوم الشكل (دائرة/ مستقيم) أو الحركة (جامد/ متحرك، اتساع/ تقلص، جذب/ إقصاء، اتجاه عمودي/ اتجاه أفقي) أو مفهوم الاتصال (منفتح/ منغلق، داخل/ خارج أو مفهوم الاستمرار (استمرار /انقطاع) أو مفهوم العدد (تعدد/ وحدة، مكون/ مهجور) أو مفهوم الإضاءة (مضاء/مظلم، أبيض/ أسود)"(٢).

فإذا أسقطنا مبدأ التقاطب على أماكن وفضاءات الرواية، ستظهر بدءًا في الكم الهائل من المنازل المتعددة في فضاء الرواية، فهي كلها منازل، لكنها لا تحمل الصفة نفسها، من حيث الوظيفة ودلالتها الضديّة، وقد ارتأينا تقسيمها بدءاً إلى نوعين:

- ✓ **أولا: أمكنة الإقامة الدائمة / الثابتة.**
- ✓ **ثانيا: أمكنة الانتقال المتغيرة /المؤقتة.**

وفي المحصلة سنقف على "ثنائية ضدية أولى" سيتلوها اكتشاف ثنائيات وتقاطبات أخرى تابعة أو ملحقة بها، وهكذا صار باستطاعتنا أن نعثر ضمن أماكن الإقامة على تقاطب جديد بين: "**أماكن الإقامة الاختيارية**" "**وأماكن الإقامة الإجبارية**". وتقاطبات أخرى بين أماكن الإقامة كالراقية/ الشعبية/ القديمة /الجديدة، الضيقة /المتسعة، الآهلة /الخالية... وستكون أماكن الانتقال هذه -أيضاً- مسرحاً لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة؛ لأن سلسلة التقاطبات داخل الطرف الواحد من الثنائية (إقامة - انتقال) يمكنها أن تصبح بلا نهاية، وذلك نتيجة للقابلية الكبيرة للفضاء الروائي في أن يندمج ويدخل في ثنائيات أو تقابلات ضدية(٣).

وانطلاقاً من التقاطب الأصلي (إقامة/ انتقال) ستنشأ طائفة من الثنائيات الإضافية المرتبطة بكل طرف على حدة، لأنها تشكل امتداده الطبيعي وتزيد في اتساعه الدلالي، و"هذه التقاطبات

(١) مرين، محمد عبد الله، وتحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرواية العربية، رواية وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثي أنموذجا، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، العدد١، المجلد ٥، جوان ٢٠١٦، ص١٤١.

(٢) بوعزة، محمد، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٠١.

(٣) ينظر: بنية الشكل الروائي، ص٣٩- ٤٠.

الفرعية الناشئة ستهيئ الأرضية الصالحة لاستثمار التحليل البنيوي للمكان في الاتجاه الأكثر خصوبة وإنتاجًا"[1]. لهذا سنبدأ بالتقاطب الأولي الذي يعنى بأماكن الإقامة الدائمة الاختيارية في مقابل أماكن الإقامة المؤقتة والإجبارية.

٢ . ١ . أماكن الإقامة الدائمة الاختيارية:

شكلت أماكن الإقامة الدائمة الاختيارية في الرواية المكان الأساسي الذي تقيم فيه الشخصية البطلة/ الساردة إقامة دائمة ومطولة، أو على الأقل تعتقد أنها دائمة، لأن عنصر الانتقال فيها سيكون مفاجئًا أو حدثا طارئًا، ويجدر التنبيه -بدءا- أن هذا التقسيم لا يخضع للشكل والبناء الهندسي للمنزل، أو أنه قبيح أو جميل، أو مطلي أو دون طلاء، ولكن هذا التقسيم سيخضع لنفسية الشخصيات ومشاعرها تجاه هذا المنزل، فضلا عن أن الشخصيات تمتلك فيه ولو بعضا من حرية التصرف والتغيير، لذا فهي اختيارية بالنسبة لها، لأن "الأمر يتعلق بالأشياء والأمكنة التي نقرأها عبر ثنايا النصوص الروائية، تلك التي نغمض العين ونراها، كما لو كانت وضعتها الكاتبة تحت الجفون القارئة"[2]. وفيما يلي تفاصيل ذلك:

✓ **المنزل الأول:**

المكان المحوري الذي شكل قطب الرحى في فصول السرد هو: "**المنزل**" حتى أن البطلة/ الساردة نفسها أطلقت عليها أرقامًا ترتيبية نظرا للأعداد الهائلة من المنازل التي قطنت فيها مع عائلتها، وفي حقيقة الأمر فإنه لا أحد يجادل في قيمة البيت أو المنزل بالنسبة للإنسان، بوصفه المأوى الذي يعيش فيه، البيت جسد وروح بتعبير غاستون باشلار؛ بل هو عالم الإنسان الأول، قبل أن يُقذف به إلى العالم، الحياة تبدأ بداية جديدة، تبدأ مسيجة، محمية دافئة في صدر البيت، وبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مشتتاً، إنه البيت يحفظه من عواصف السماء وأهوال الأرض[3].

كان المكان الأول/ المنزل الأول في المدينة الأولى "**جدة**" التي عشقتها البطلة /الساردة منذ صغرها، وعرفتها معرفة العاشق الأعمى، وعرفت فيها معنى الحياة، وتحديدا في جنوبها، وكان هناك فرق شاسع بين جنوبها وشمالها، كما توضح الساردة على لسان بطلتها: "لم يحدث لي قط أن ابتعدتُ كثيرا خارج حدود جدّة إلا لأشهر معدودة قضيتها في مكة، وسنة ونصف في أمريكا، لأجمع في حصيلة تجاربي المتناقضة ما بين أطهر بقعة في عالمنا الممسوس وأسوأ بقاع الأرض، ولم يحدث لي قط أن فارقتها بعد ذلك، حيث كنتُ يوما ما أعيش بغرابة كبيرة في أقدم أحيائها البائسة بين تلك الأزقة والحارات المتجذرة في ذاكرة المقيمين فيها بنبل، والذين استقبلوا الفقر بابتسامة قانعة لا يشوبها سخط ولا سخرية. يوم أن سافرت إلى شمالها أدركت التغير الهائل الذي سكن

(١) ينظر: بنية الشكل الروائي، ص٤١.
(٢) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، ص١٣٨.
(٣) ينظر: جماليات المكان، ترجمة: هلسا غالب، ص٣٨.

ملامحها، وأقول «سافرت»، لأن فرقا هائلا بين شمال جدة وجنوبها كفرق بين مدينتين"[١].

هذا التكثيف الدلالي في ذكر المكان في هذا المقطع لخص حصيلة التجارب المتناقضة والتقاطبات المتضادة التي عاشتها البطلة/ الساردة، فذكرت أطهر بقاع الأرض/مقابل أسوَئِها، وكذا الشمال الغارق في الرفاهية والابتذال/ في مقابل الجنوب المتجذر في الفقر والقدم باختصار، لأن البطلة /الساردة أرادت الظفر بحياة رغيدة ليس غير، وسط أسرة سعيدة، وأحاسيس بالانتماء والأمان وسط منزل مأهول بعائلة متماسكة، حيث المنزل دائما يتلون بتلون أصحابه، ويتغير بتغير مشاعرهم، فقد يتسع باتساع قلوب ساكنيه رغم الجدران الصلبة، وقد يضيق فيطبق عليهم هما وحزنا، حيث إن "إشكالية الانغلاق والانفتاح فيه لا تكمن في تصميمه ولا في موضعه من المدينة فحسب، بل تتعدى ذلك إلى المشاعر والأحاسيس والوجدانات والأفكار التي تغدق عليه وعلى ردهاته"[٢] فمن الخطأ النظر إليه – أي المنزل – كركام من الجدران والأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي والانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي وصفاته الملموسة مباشرة؛ لأن هذه الرؤية ستنتهي على الأرجح، إلى الإجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتفرغه من كل محتوى[٣].

إذن: يعد المنزل الأول مكان الإقامة الأولى، ومكان الألفة الأولى، ففيه نسجت البطلة أحلام الصبا، وطموحاتها المستقبلية، حيث أحبته بشغف شديد، نشأت وترعرعت بين أحضانه، حتى بلغت الخامسة من العمر، يحتوي على مقهى يعد مصدر رزق والدها، ويقع في الجزء الجنوبي لجدة، فهي "**ابنة جِدَّة المدللة**"[٤] كما تصف نفسها – أكثر من مرة – داخل متن الرواية. ورغم بنائه المتهالك، وشكله القديم، غير أنه ضارب بعمقه في عمق روحها، لذا احتفظت ذاكرتها الصغيرة بتفاصيل جميلة عنه علقت بروحها، لكونه متسعا على مد البصر، تقول عنه: "لم أعد أتمكن من تمييز ملامح عالمي الأول، إذ كان شاحبًا وهزيلا كحلم طاعن في السن، مسكونًا بخليط من ذكريات لا تخصُّني، فتركته يضيع في كومة أفكاري غير المعلنة، أعني تلك التي اجتهدت طويلا أن أبقيها دفينةً تحت أكوام نقائض بيتنا الضّارب في أعماق سنوات طفولتي المبكرة. لا أدري لماذا حين أحاول أن أستعيد تفاصيله تفرُّ مني فلا يبقى إلا فناؤه المتسع جدًا جدًا، والذي يستمر في الاتساع على مد بصري، وينتهي عند أبواب خشبية متهالكة لحجرات متراصفة لا أعلم ما صفتها ولا أي شيء يدور بين جدرانها، إلا ممراً يمتد بين حجرتين تقف فيه جدتي، تغمر قدميها في إناء مملوء بالماء، وأنا أقف عند سُدّة الباب"[٥] .

يعدّ الارتباط بالمكان، بوصفه باعثا على الانفعال والتأثر، محطة وسطى بين مرحلتي الشباب

(١) الرواية ص٢٤- ٢٥.
(٢) عبيدي، مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠١١، ص٤٥.
(٣) ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص ٤٣.
(٤) الرواية، ص٥٨.
(٥) السابق، ص٢٩.

والهرم، يتغير معهما الإحساس به مثلما يتغير المرء بفعل عامل الزمن وتعاقب أيامه ولحظاته وما يصاحبها من تحولات تمسّ مجال الرؤية الذاتية للمدركات المادية، التي يعدّ المكان عنصرا من عناصرها إذ لا يخفى على أحد أن التعامل مع المكان في تجلياته المدركة يعتمد أساساً على تأثيره وجماليته، ومن ثمّة يأتي المكان الذي يتعلق به المرء، بفعل تأثيره وجاذبيته [1].

إن البعد عن المكان مثل البعد عن الإنسان ينسينا كثيرا من ذكرياتنا، خاصة إذا تقدم بنا العمر ولم نسجل ذكرياتنا على الورق؛ لأن الذاكرة تشيخ مثل صاحبها فتحتفظ بأشياء وتسقط أخرى وسط زحمة الحياة، لذلك تستمد عملية الاستحضار فاعليتها مما توارى من أحداث ومواقف صادفتها الذات. والعملية على صعوبتها تستلزم -أيضاً- تعاملا خاصا مع ما توافر من يوميات ومذكرات، وإلا فإن الذاكرة تبقى عرضةً للعجز أمام ما يتعرض له المرء من ضغوط حياتية وتحولات عمرية، ويمكن أن يكون بعد المسافة الزمنية بين لحظتي الاستحضار والكتابة سببًا كذلك في إصابة الإنسان بحالات النسيان غير المقصودة، لذلك يرتبط عنصر المكان بالوصف المادي التجريدي من جهة الحركة والثبات والغياب والحضور؛ لأن هاتين الثنائيتين هما المحوران الرئيسان للمكان الفاعل من غيره[٢].

إن الدليل على التأثير الفاعل للمكان/ المنزل الأول في حياة البطلة هو إعادة البطلة/ الساردة وصف المكان الأول وتفاصيل تشكلاته، وإضافة بعض أحاسيسها عليه، من منطلق الإعجاب التام بأجزائه ومحتوياته، لأن المكان البعيد في الذاكرة، هو الذي عاشت فيه طفولة جميلة نابضة بالحب والحركة واللّعب في فنائه الواسع جدًا، مع إخوتها "**أريج وماجد وفهد**" الذين صنعوا أرجوحة في أغصان شجرة (النبق) الكبيرة ذات الأغصان الكثيفة والغليظة، تقول: " أحببت منزلنا القديم بالرّغم من كل شيء، وأحببت الباحة الأمامية التي يطلّ عليها متضائلا أمام اتساعها الرهيب، وشجرة النبق التي استقرت في وسطه متوعدةً بإسقاط كل من يتسلقها دون موافقة منها. وأجمل ما كان يشفع له بالحب مقهى والدي الذي امتد إلى جواره مرحبا بكل غريب أو مسافر. لطالما ارتاده المنهكون من التعب يريحون أجسادهم كل صباح ومساء من مشقة السفر"[٣].

يشكل المنزل الأول إذن: مستودع ذكريات الإنسان، بيت الطفولة الذي تحول مع مرور الزمن إلى (يوتوبيا)؛ أي مكان يحلم الإنسان بالعودة إليه. إن البيت كفضاء للسكنى، يجسد قيم الألفة بامتياز، ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، يحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية، لأنه يسقط على الكثير من مشاعر الحنين والإحساس

(١) ينظر: بركة، ناصر، جمالية توظيف المكان في أدب الرحلة في مدينة الضباب ومدن أخرى "لعبد الله ركيبي أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، المجلد ٧، العدد٢١، ديسمبر ٢٠١٥، ص٤١٩.

(٢) ينظر: جمالية توظيف المكان في أدب الرحلة في مدينة الضباب ومدن أخرى ،ص٤٢١.

(٣) الرواية، ص٣٠- ٣١.

بالحماية والأمن، ويحمل قيم المأوى والملاذ والحماية[١].

ثم إن الرؤية التجزيئية التي أوردتها الساردة/ الكاتبة ووصف أدق جزئيات البيت وأركانه، ستكون عائقاً أمام الفهم الشامل لوظيفة هذا المكان ودلالته العامة، فالبيت بوصفه مصدراً لفيض من المعاني والقيم، يشكل نموذجاً ملائماً لقيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات، وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليهم أن يعيشوا فيها[٢].

✓ **المنزل الثاني:**

يقل المنزل الثاني اتساعا عن المنزل الأول، يقع في جدّة "**بحي المدائن**"، ابتاع والدها أرضه مناصفة مع أخيه، غير أنه يقع في مكان شعبي ضيق، وأسوء من ذلك تصميمه السيئ الذي جعله منزلا مستطيل الشكل، تقول عنه البطلة/ الساردة: "وانتقلنا من بيتنا الواسع لبيت ضيق... بيتنا الشعبي الضيق والجديد المكوّن من طابقين يمتد على قطعة أرض مستطيلة تضيق عند مدخل الباب الرئيس وتتسع في طرفه القصي المقابل له. يستطيع أي شخص يقف أمام مدخله أن يرى آخره من موقعه من الشارع، ويرى سقفه الذي يعلوه سخام، وكأن حريقًا سبق أن اندلع فيه. ولم أسأل أحدًا عن سبب هذا الاعوجاج والاستطالة، فهي أمور لم تكن تشغل تفكيري أبدًا. كنت أتعجب فقط من غرابة هذا التصميم القبيح. ومع ذلك قيل لي أن البيت كان كبيرا ومربعًا، ولكن لأجل بعض الخلافات والكثير من المشاحنات التي كانت تدور بين أمي و«نسيبتها»، فقد قرر الشقيقان أن يقتسما منزلهما، فكان منزل عمي مربعا، ومنزلنا مستطيلا"[٣].

بيت شعبي مستطيل الشكل، كانت البطلة/ الساردة تشعر بالخجل من الانتماء له، فتسلك أطول الطرق حتى لا يتعرف أصدقاؤها على بيتها، ثم قرر والدها أن يبتاع مكتبة قريبة من هذا المنزل المستطيل، على بعد أميال منه، وأطلقوا عليها اسم "**مكتبة الباحة**" تيمنا بمنطقتهم الجميلة، كما امتلأ هذا المنزل بعنادها وتمردها ومغامراتها الصبيانية.

أسهبت البطلة/ الساردة في وصف "المنزل الشعبي المستطيل الشكل"، ووصف شعورها الدائم بالحنين إلى اجتماعات العائلة أمام صندوق التلفاز المربع، والشاهي والمكسرات، ورغم ضيقه، إلا أنه ظل أوسع منزل في ذاكرتها، كان "الطابق الأرضي يحتوي على مطبخ ودورتي مياه، وحجرتين للضيوف تتحولان في الليل إلى حجرتي نوم للذكور والإناث، وكلها تطل على الممر الطويل الذي كما ذكرتُ يضيق في مقدمته إلى أن يتسع في آخره، وينتهي عند مغسلة تعلوها مرآة مكسورة، بسبب حلقة معدنية أدخلتها في إصبعي ولم أستطع إخراجها فأوقعتها أمي في خضم بكائي وعويلي الذي

(١) ينظر: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص١٠٦.
(٢) ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص٤٣.
(٣) الرواية، ص٣٢- ٣٣.

زاد من خوفها وشتت انتباهها فكسرتها وهي تحاول إصلاح الإضاءة التي تعلوها للحصول على رؤية جيدة... فصارت شاهداً على أخطائي وأنا في الخامسة من العمر"[١] .

تبدو علاقة الشخصية – هنا – أكثر حميمة بهذا النوع من الأماكن، فهذا البيت هو مسرح الأحداث، والمكان الضيق هو أحد مستلزمات رواية الأفكار المسرحة؛ إذ لا يمكن للكاتب أن يقيم حواراً فكريا بين شخصياته ما لم يعمد إلى مسرحة المكان، الذي من شأنه أن يخلق صراعاً بين الأفكار، كما من شأنه -أيضاً- أن يخلق ألفة حميمة بين المكان وساكنيه، فحس المكان في النفس البشرية هو حس أصيل ينبع من الحياة الجماعية التي يحياها الفرد في البيت[٢].

وتكمل البطلة /الساردة بنفس متواصل وصف تفاصيل بيتها الشعبي المستطيل، ووصف غرفه وطوابقه: "أما الطابق الثاني فيحتوي على ممر مماثل للممر الذي في أسفل البيت، بالطريقة نفسها تتفرع منه دروتا مياه، وحجرتا نوم واحدة لأمي وأبي، والأخرى لشقيقي الكبير وزوجته... والحجرة الأخيرة التي تعلو حجرة المطبخ في الدور الأرضي اتخذها شقيقي مَرْسمًا له... ثم تحولت إلى مستودع بعد رحيله. مع ذلك، لم يكن هذا البيت قبيحًا كلّ القبح، بل كانت له مزايا كثيرة لا أحصيها"[٣]، لو نظرنا للعديد من المقاطع التي وصفت هذا المنزل، لوجدنا إسهابا وقعت فيه الكاتبة/ الساردة بهذه الطريقة السكونية لحضور المكان، ومحاولة رصده بكل تفاصيله الدقيقة، لم تخدم سير الأحداث وتطورها ولم تكشف عن تفاعل الشخصية مع المكان، فالمستوى النفسي الانفعالي غائب عن مثل هذا التقديم، وإن كان له من غاية فهي لا تتجاوز بيان المستوى الاجتماعي للشخصية، وكان من الممكن كشفه وبيانه بالإشارة الموحية، والإيماءة السريعة، بغير الإسهاب والتفصيل، والرصد الدقيق لكل جزئيات المكان، ضمن صراع الشخصيات الأبدي مع الأمكنة حين تتأثر بها أو تؤثر فيها[٤].

✓ **المنزل الثالث:**

بعد زواج أخيها الكبير واستقراره في شقة جميلة برفقة زوجته وابنته، صارت البطلة/ الساردة تختلق الأعذار لتزوره وتجلس في بيته الفاخر، وتتمكن من اللعب بألعاب ابنة أخيها التي اشتراها من لندن، وقد قامت عائلتها باستئجار شقة جديدة في الحي نفسه، فامتلأ قلبها بهجة وحبوراً للانتقال إليها، رغم التغيرات التي طرأت على أفراد عائلتها ونظام معيشتهم، تقول في ذلك: "الفرح والبهجة بانتقالنا نحن -أيضاً- بعد ذلك بسنتين إلى شقة استأجرناها في الحي نفسه لا يوصفان، كان الخروج من منزلنا الشعبي الضيق والمتهالك أشبه بالخروج من معتقلات التعذيب... فيما

(١) الرواية، ٣٣- ٣٤.

(٢) ينظر: البشير، سعدية موسى، أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر دراسة سيميائية، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد ٤١، أكتوبر ٢٠٢١، ص١١- ١٢.

(٣) الرواية، ص٣٣-٣٤.

(٤) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٤٤.

عادت ثقتي إليَّ فبدأتُ في دعوة زميلات المدرسة بعد أن كنت أتحاشى السير معهن عند الانصراف والعودة إلى بيوتنا لكيلا تتكشف حقيقة فقرنا المدقع كما يقال"[١].

ففي الشقة الجديدة امتلكت غرفة مع شقيقاتها، وخزانة للملابس ودمية تلعب بها، وشرفة تطل على المنازل المقابلة، غير أن والدها حرمها من الخروج واللعب، فتلخصت حياتها بين المنزل والمدرسة، وصارت تحس كأنها في حبس أو سجن لم ينقذها منه سوى عالمها الخيالي الذي تحاول من خلاله كسر الحدود والأقفال، فالإنسان يقتل بطريقة غير مباشرة. والذّات يقتلها الاغتراب وسط أهلها وبيتها، لقد جعلت الساردة/ الكاتبة المكان يسهم إسهامًا فاعلا في خلق هذه المشاعر، ويتحوّل إلى عنصر يعبّر عن موقف البطلة منه. لذلك تبدو الصّورة في دواخلها بائسة تعبر عن واقع بائس، يدفع إلى اليأس والاستسلام، أو الهروب إلى عالم الخيال الحالم، وهكذا تظل البطلة تشعر بوجودها النّاقص، وبإنسانيّتها المقيّدة والمسجونة، وبحياتها المبتورة، وكيانها المهدّد لتدرك أنّ وجودها النّاقص سيتحقّق فقط في المنزل الآمن/المكان القريب[٢].

✓ **منزل الباحة:**

تمثل "**الباحة**" المدينة الأصلية لعائلتها، كان فيها أول منزل قطنته العائلة، فهو المكان الذي تعشقه والدتها، عاشت فيه طفولتها في بيت خالها بسب يتمها وفقدان والديها منذ صغرها، لكنها عاشت فيها – أيضاً– مع أبناء عمومته بسبب أرضه التي باعها عندما غرق في ديونه.

كانت البطلة/ الابنة تعشق السفر إلى هناك في الإجازات، تقول: "حيث كنا نمتلك بيتًا جميلا وكبيرًا خاصًا بنا، به سبع حجرات ومجالس الضيوف لاتساعها الشديد تصلح ساحات للعب كرة القدم، في كل مرة نتواجد هناك كنت أشعر بسعادة أمي الطاغية، وتلك الراحة العميقة والنشاط الذي ينتشر في جسدها وكأنها شابة في العشرين من العمر. وحين أرى تلك الفرحة الغامرة أتمنى لو كان هذا البيت في جِدّة، ولكنها نهرتني عن هذه الأمنية التي وصفتها بالخيانة العظمى لأرضنا الأصلية على حد تعبيرها"[٣].

إن تسمية المكان الروائي – هنا– تعد أولى عتبات الدلالة على شخصية المكان وتميزه فالمكان – أي مكان – لا يكرر نفسه تحديداً، وكثيراً ما يلجأ الكاتب/ السارد إلى إطلاق الاسم الحقيقي على المكان الروائي، أو تسمية الأماكن بأسمائها الواقعية، بغية استدعاء ذلك المكان – أي الواقعي – إلى ذاكرة القارئ؛ لأنه يرى أن هذا الاسم هو أكثر الأسماء انطباقاً على مكانه المتخيل[٤].

كما اكتسب هذا المكان حركية نابضة بالحياة، حيث المنازل في "**الباحة**" بقيت شاهدة على

(١) الرواية، ص٥١.
(٢) ينظر: جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، ص٨٢.
(٣) الرواية، ص٦٠.
(٤) ينظر: جماليات المكان، ص٥٤– ٥٥.

أناس عاشوا فيها حياة غاية في البساطة من جهة، وغاية في التعقيد من جهة أخرى، لطابعها الريفي والأودية والشعاب والأرض الوعرة التي يشتغلون فيها، لكن مع ذلك عشقت البطلة/ الساردة هذه الحياة بكل بساطتها وتلقائيّتها. عشقت وجودها -هنا- في منزل تمتلكه ويخصّهم، رغم عدم اكتمال بنائه ودهانه وحتى أبوابه، لكن لا يطلب منهم الرحيل أو دفع الإيجار، ففي "**الباحة**" مزيد من الاتساع، فضاء رحب، وأرض خضراء شاسعة لا تصدح فيها إلا الطيور، تضيف واصفة ذلك: "هنا لا شيء غير صوت الطبيعة نمسي مبكرًا على هدير قطعان الذئاب، وصراصير الليل ونستيقظ منذ بواكير الصباح على ألحان أسراب الطيور، ونقيق الضفادع، وبأجسادنا ذلك النشاط الذي لا ينطفئ، متقدين حماسًا، وقلوبنا متخمة بالتفاؤل... ضحكاتنا تصدح في عيوننا، وأصابعنا تتشرب كل قطرة تندس بين الأوراق والحشائش، وحتى شوك التين الذي ملأ بواطن أيدينا "[1]. إننا نرى ـ هنا ـ تلاحق صور الطبيعة وامتزاجها بالصور المخزنة في الذاكرة، فالذاكرة تنتج صورًا، ونحتفظ بصور في ذاكرتنا، أي أن الصورة هي كل شيء، عدا كونها النتاج المباشر للخيال[2].

صحيح أن الأحداث تجري بحركية تامة، غير أن السرد متوقف هنا؛ لأن الساردة/ الكاتبة تركت المجال لوصف المكان فقط، حيث عملت على تقنية الاسترجاع عبر الآثار التي تركتها هذه الفترة؛ فلكل رواية طوبوغرافية خاصية تعطيها نغمتها الخاصة بها في عرض تقنيات المكان، ونرى أنها تتعدد بتعدد تقنيات اشتغال الوصف، ذلك أن أهمية الصفحات الوصفية لا تكمن في الأشياء الموصوفة، بقدر ما تكمن في حركية الوصف نفسه، أي أن قيمة الوصف لا تكمن في طول المقاطع الوصفية، وإنما في الكيفية التي يشتغل بها الوصف، حيث إن فراسة الكاتب لا تتحدد بمدى حضور الأشياء في نصه، وإنما يتميز الكاتب/المبدع بطريقة وصفه للأشياء وتوظيفها بنائيا ودلاليا بوصفها شبكة دلالية وبلاغية منظمة، وعليه فسؤال الوصف أن يطرح حول طريقة الوصف لكونها التقنية التي تكشف عن منظور الراوي[3].

ظهرت خاصية تميزت بها المنازل الثلاثة السابقة وهي طابع الألفة والحميمية والمحبة والتعلق بها، على الرغم مما فيها من سلبيات، وهذا الأمر الجوهري هو أساس تلك العلاقة بين المكان بوصفه عنصراً شخصياً والشخصية التخيلية التي ستجعل منه مكانها في العالم، فيصبح البيت كونها الخاص، فمن هذه الزاوية لا نصادف صعوبة في الكشف عن ملامح هذه الأماكن/ المنازل وعلاقاتها بقاطنيها، بوصفها بنية مكانية، والبيت كوعي ورؤية يحملهما عنه القاطن فيه، نحو إدراك قيم الألفة الإنسانية التي تكمن فيه وتمثل جوهر فكرة البيت[4].

(١) الرواية، ص٦٨- ٦٩.
(٢) ينظر: جماليات المكان، ترجمة: هلسا غالب، ص٣٠.
(٣) ينظر: عاشور، عمر، بناء المكان الروائي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد ٠١، المجلد ٠٦، ص٤٤-٤٥.
(٤) ينظر: بنية الشكل الروائي، ص٤٥.

٢.٢. أماكن الإقامة الانتقالية المؤقتة والإجبارية

بعد تصنيفنا للمنازل الثلاثة الأولى نظرا لخصوصيتها المطابقة لتقاطب الإقامة الدائمة والاختيارية، تأتي بقية المنازل بداية من المنزل الرابع حتى المنزل الثالث عشر خاضعة لمقولة أمها التي تكررها في كل مرة "**إقامتنا -هنا- ستكون مؤقتة** "[١]؛ أي انتقالية وظروف الانتقال فيها كانت اضطرارية أو إجبارية، "**انصياعاً لقرارات الكبار**" هذا فضلا عما عاشته البطلة/ الساردة من مشاكل وضيق في الحال والمال، فحمل كل منزل ذكرى أسوأ من سابقه.

✓ **المنزل الرابع**

لم تهنأ عائلتها بالاستقرار يوما ولم تذق طعمه، ولم تمكث فترات طويلة في أي منزل، وسنرى تغيرًا كبيرًا في المنازل التي ستقطنها، هذا التغيير نابع من محيط هذه المنازل، فمعظمها ضيق وشكله سيئ، ومكانه أسوأ، فضلا عن الخراب والقهر والصراع النفسي، وأحاسيس الاغتراب التي لزمت علاقة البطلة/ الساردة بأسرتها داخل سلسلة هذه المنازل المتتالية، حيث ساءت حالة والدها المادية، وغرق أكثر في ديونه، فاضطر لبيع المكتبة " مكتبة الباحة"، غير أن الأسوأ من ذلك زواجه من امرأة مصرية وهجرانه لهم، كما جاء على لسان البطلة: "لم نكن نعلم وقتها أنه تزوج في مِصْرَ وبنى منزلا هناك، فانتقلنا للإقامة المؤقتة مع سلطان وزوجته في شُقّتهما بحي المدائن نفسه لمدة سنتين. وكم كانت فرحتي في البدء كبيرة بهذا الانتقال المفاجئ، فقد كنت شديدة التعلق بحنان ابنة أخي سلطان"[٢].

غير أن هذا الانتقال المفاجئ كان موجعا للبطلة مرة أخرى بسبب المناوشات الدائمة بين والدتها وزوجة أخيها، وما زاد الأمر حدة تحول شقيقها ماجد لكلية الشريعة بمكة، الذي تغيرت قناعاته و"عاد من سنته الأولى مشحونًا بأفكار أفلاطونية، متطلعا إلى أرشفة كل أخطاءنا في أدراج الماضي، وإغلاقها بإحكام شديد"[٣]، حاول ماجد تطهير كل أفراد العائلة من آثامهم ومعاصيهم، تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب، فاتجهت والدتها إلى دور القرآن الذي وجدت فيه ملجأ وراحة نفسية لا مثيل لها، أما شقيقته فهي متمردة إلى جانب والدها ويزيد وسلطان وزوجته الذين شكلوا - برأيه - حزب الظلال، فأصبح المنزل أحزابا متناحرة، مما جعل الوضع يتصاعد ويتأزم نحو منحنيات خطرة، أدت إلى انفصام شخصية البطلة/ الساردة دون أن يدري أحد عنها، تقول: "لم تكفني تلك الانقسامات التي سلختْ أفكاري وجعلت مني شخصيتين كرهتهما أشدّ الكُرْه، بل تراكمت عليها انقسامات أخرى أكثر حدة امتدت إلى سلخ مشاعري أيضًا، فأصبحت خاوية من فكر خاص بي وخالية من أي شعور حقيقي بالحياة؛ بدءًا من ترف الثراء الذي كنت أظنّ أننا

(١) الرواية، ص١٢٣.
(٢) السابق، ص٧٣.
(٣) السابق، ص٧٤.

وصلنا إليه إلى جحيم الفقر، ومروراً بالغياب الطويل لوالدي الذي لم أعد أعرف إن كان يكن أي شعور لنا؟ صرت أحمل فوق كتفي وجهين مختلفين أشد الاختلاف... في هذا المنزل؛ منزل سلطان، انقسمتُ على نفسي كآخر لا أعرفه حين صرت أحترف الادعاء والتمثيل، وأتقن تزييف الحقائق المشوهة وطلاءها بألوان براقة. وحين يملؤني الزّيف أبتعد عنّي لأنظر من زاوية قصيّة إلى وجهي بأشكاله المتعددة"(١).

هي مرحلة انتقالية خطرة في هذا المنزل الذي كان جحيماً بالنسبة للبطلة/ الساردة، غدت نفسية البطل سلبية تماماً، لأنها يائسة ومسلوبة الإرادة، إنها تعاني من التّمزق الذّاتي والضياع النفسي، ولا تعرف ما يدور حولها، كما يتبدّى لنا بجلاء من خلال تصرّفاتها وتفكيرها، صراعها الدائم مع المكان الذي لم تألفه، فلا ترى فيه سوى حيّزًا رهيبًا، يفترسه التّناقض، وتتقاسمه أفكار متضاربة، وتتفاعل فيه معطيات متنوّعة؛ لأنّ صورة الضّياع الإنساني التي نستشفّها من خلال تفكير البطلة وسلوكها ترمز إلى ضياع الأسرة بأكملها وفقدانها لهويّتها، فعندما يشعر الإنسان بالإحباط تزداد قسوة المكان وغرابته، فتتعدم الألفة بينه وبين ذلك المكان، ويولد العجز في التّفاعل وفي الاستمرار فيه، وتغدو الحياة فيه مستحيلة وعقيمة وبائسة بعيدة عن موطن الائتلاف، حينذاك تبدأ الشّخصية تهزّها هزات ارتدادية في الخفاء سرعان ما تطفو على سلوكها وإحساسها(٢).

ثم إن إقامة خمسة عشر شخصا في خمس غرف في المنزل نفسه أمر ليس بالهين، خصوصا أن زوجة أخيها لم تعد تتحملهم أكثر، وعليهم التنقل مجددًا، فالمنزل لم يعد يمثل "الكينونة في طمأنينته، فلم يعد مجرد مكان فيزيقي وهندسي مرتبط بحيز ما"(٣)، وإنما يمثل روحها وقلبها النابض الذي فقدته في المراحل اللاحقة.

✓ **المنزل الخامس**

من الضرورة الحتمية حصولهم على شقة أرخص إيجاراً لعدم توافر مدخول مادي، في ظل هجران الوالد وزواجه في مصر، فوجدوا شقة في عمارة سكنية في الطابق الرابع، تقول البطلة/ الساردة: "فانتقلنا إلى شُقّة جديدة مجاورة لبيت خالي الأبعد، أطلقت عليها المنزل رقم خمسة لأفرّق بينها وبين البيوت السابقة التي عشت طفولتي في التنقل بينها"(٤).

لم تهدأ نفسيتها ولم تستقر بعد، فالضربات الموجعة التي تلقتها في عز مراهقتها أزمت وضعها النفسي والاجتماعي، بدءا من تعنيف والدها وضربه المستمر لها، إلى هجرانه التام، مما

(١) الرواية، ص٧٧.
(٢) ينظر: جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، ص ٨٠-٨١.
(٣) بو شليقة، رزيقة، المدينة وفلسفة المكان الثقافي في النص السردي الجزائري رواية "نساء كازانوفا" لواسيني الأعرج أنموذجا، مجلة دفاتر المخبر، المجلد ٢٨، العدد١، ٢٠٢٣، ص١٤٢.
(٤) الرواية، ص٧٨.

خلف جروحا غائرة في دواخلها، تستذكر ذلك قائلة: "هاجرنا إلى المنزل رقم (٥) الذي قضينا فيه ثلاث سنوات، ومنذ السنة الأولى بدأ إخوتي وأخواتي في الزواج والرحيل عنا واحداً بعد الآخر، فلم يبق سوانا أنا ويزيد وأمي. في المنزل رقم (٥) حدثت الكثير من التغيرات وصرت في سن السادسة عشرة. وفي المنزل رقم (٥) صرنا خمسة أفراد إذ جاء والدي من مصر مع زوجته الجديدة واستقرا معنا لفترة، ثم رحلا بعد أن توالت الهزائم والانتصارات بين السيدتين"[١].

وتؤكد الساردة صبر والدتها وسعيها للحفاظ على هذا الكيان المسمى "**عائلة**" متماسكاً على حساب العديد من خسائرها النفسية والمادية، التي تفاقمت بعد عودة والدهم وزوجته الجديدة، حيث قام ببيع المنزل الشعبي المستطيل وكل ما تبقى من أراضي الباحة، ليتمكن من بناء بيت جديد في مصر.

لكن والدتها لم تستطع تقبل هذا الواقع المرير، مما جعلها تسافر - هي الأخرى - إلى بيت أخيها في الرياض وتترك أولادها في وحدة رهيبة، أينعت بؤسا كثيفا خيم على جميع أفراد العائلة، فصار روتينها اليومي بكاء ونحيباً متواصلاً حتى تتقطع أنفاسها، إلى أن سافر والدها وزوجته لمصر مرة أخرى، ولم يعد يبالي لأمرهم، إن عادت أمهم أو تركتهم ليموتوا جوعا وعزلة وفقرا ووحدة، غير أن والدتهم لم تتنازل عن فلذات كبدها، وعادت إليهم، وعادوا إلى مسلسل التنقل والفقر مجددا.

✓ **المنزل السادس:**

لم تستطع العائلة تغطية مصاريف الإيجار الشهري ومصاريف البيت ونفقاته من جديد، فاضطرت مجددا لترك البيت رقم (٥)، وترك جِدّة بأكملها هذه المرة، والانتقال إلى بيت أخيها ماجد في "مكة" الذي كان يعمل متعاونا في جامعة أم القرى يدرس الماجستير في علوم الحديث، لكن شاء الله أن يتحمل مسؤولية أمه وأخته وأخيه -أيضاً- إلى جانب أسرته، تصف منزل أخيها قائلة: "تتكون شقة ماجد من حجرة نوم واحدة ومجلس نساء نتشاركه أنا وأمي للمبيت فيه، ومجلس رجال يبيت فيه يزيد وحده، وصالة معيشة وحجرة خصصها ماجد لمكتبته العظيمة برفوفها الشاهقة الارتفاع... التي تعج بأصناف من الأطعمة اللذيذة ابتداء من كتب الأدب كالنجوم الزاهرة وجواهر الأدب والبيان والتبيين، ومرورا بفتاوى ابن تيمية والكثير من كتب الفقه والحديث والتفسير، ووصولاً إلى الأصناف الغنية بالسعرات الحرارية كسلسلة البداية والنهاية ومروج الذهب، والكامل في التاريخ، وغيرها الكثير والكثير مما لذ وطاب"[٢].

كان هذا المنزل بمثابة "**سجن جديد**" كما تصفه البطلة/ الساردة حيث قضت فيه معظم أوقاتها تحدق في الجدران، بعد أن فارقت جِدّة ومدرستها ومعلماتها وصديقاتها، ولم تستطع أن

(١) الرواية ، ص٧٩.
(٢) السابق، ص١٠٠.

تندمج في العالم الجديد، فقد زادت حدة معاناتها النفسية، فقررت في لحظة فصام التخلي عن المدرسة والدراسة كلها، حيث تقول: "لم تكف أمي عن البكاء حين علمت بقراري هذا، ولم يكف ماجد عن ضربي مرة بسلك الراديو ومرة بيديه العاريتين، ومرة بقدمه يدهس ويركل وكأني حشرة لا تستحق أكثر من سحقها على الأرض أو مسحها من الوجود، حتى انتابتني حمى شديدة لكثرة الرضوض والكدمات المنتشرة بجسدي. وكان يتوعدني بأن هذه مجرد مقبلات، إن لم أعد إلى المدرسة. لم يثنني كل هذا عن قراري، فقد سبق أن صرحت بأن لا رجعة فيه حتى سلم الجميع من نصحي وتعنيفي، ولم تكف الشمس عن الإشراق بكثافة أحرقت مواطن الوجع"[١].

إن المعاملة السيئة التي كانت تتلقاها من طرف أخيها ماجد، جعلتها تعتزل الجميع وتعتاد الذهاب للحرم المكي، أو قراءة القرآن، أو قراءة الكتب من مكتبة ماجد، التي خصصت لكل شهر مجموعة من الكتب، عزمت على قراءتها وتلخيصها ومناقشتها وفهرستها أيضًا، غير أن أقصى أمنياتها أن تعود إلى جِدّة فقط، ليظهر المكان/ المنزل -هنا- بصورة رمزية تحيل إلى الخراب والدمار والفناء، فهو يضم بين جنباته أسرار قاطنيه وتفاصيل حكاياتهم، أحزانهم وأتراحهم، لقد امتد المكان/المنزل في سياق السرد وهيمن على باقي الشخصيات، وتحول إلى بطل أو قوة تصارعها الشخصيات، وأصبح يتحكم في مصائرهم، ونوعية تفكيرهم وطرائق سلوكهم، لقد صار المكان/المنزل يشكل وحدة أساسية متحكمة في بنية النص الروائي هنا[٢].

✓ **المنزل السابع:**

بعد سنة كاملة قضتها في مكة، عادت البطلة/ الساردة أخيرا إلى جِدَّة مسقط رأسها، فوجدت زميلاتها قد انتقلن للصف الثالث ثانوي، لكن فرحتها لم تكتمل لعودتها دون والدتها، والانتقال إلى منزل زوجة والدها برفقة أخيها يزيد فقط، تقول: "عدت إلى جِدّة إلى مسقط رأسي وروحي وقلبي إلى مسقط جنوني الراكض في طرقاتها الضيقة، وحواريها المزدحمة، وبساطة ساكنيها، إلى جسدي الذي أضعته وأنا أبحث في شوارع مكة عن قناع ما أرتديه ولا يظهر ضعفي الشديد، وإحساسي بالفقد إلى المدينة التي لا تكذب ولا تراوغ ولا تكره، لأنها بكل عفويتها الشهيّة قد خلقت من البحر، وتمددت على شاطئه دون أن تكترث لأقلام الكتاب ولا لألوان الرسامين، ولا لقصائد حمزة شحاته. عدت إلى قلب الحياة وحياة القلب. عدت، ولكن"[٣]. تظهر نقطة التحول في مسار حياة البطلة/ الساردة حين عودتها إلى مدينة جدة/ مسقط روحها/ مكان الولادة الأول الضارب في أعماق روحها، حيث يبرز التلاحم الشديد بين روحها وبين مدينتها جدة؛ لأن "الوطن يشكل طاقة جذب واحتواء عاطفي، فعلاقتنا بالمكان تقوم على جملة من العوامل المختلفة والعميقة، أحيانا تتعدى قدرتنا الواعية وتتوغل في الباطن واللاوعي، فالإنسان لا يحتاج فقط إلى رقعة

(١) الرواية، ص١٠١.
(٢) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٤٧.
(٣) الرواية، ص١١٣.

جغرافيّة يعيش فيها، وإنما نجده يصبو دائما إلى مكان حميمي، يضرب فيه بجذوره لتأصيل هويّته، والتّعبير عن كينونته ووجوده، حيث يتحوّل هذا المكان إلى مرآة ترى فيها الذّات صورتها"(١).

غير أن الأقدار تسوق لها أماكن جديدة ومختلفة، حينما تستذكر البطلة/ الساردة فجأة أنها نسيتْ أن تَعُد أرقام المنازل هذه المرة، حيث صارت تقطن المنزل السابع، فتقول: "لم أعلم أن منزل والدي كان يحمل الرقم سبعة إلا بعد أن غادرت. الرقم سبعة رقم مقدس لا يجب التقليل من شأنه ندمت لأني عرفت في وقت متأخر، فلم أقدس أوامر والدي ونواهيه، عرفت أيضا أن يزيد لم يحترم قدسية هذا الرقم حتى بعد أن أخبرته. فنقل جهاز التلفاز إلى مجلس الضيوف، أقصد حجرة نومه التي تجاور حجرة نوم والدي، ولم يكترث لكل التحذيرات السابقة"(٢).

لقد تغيّر الوضع في شقة أبيها الجديدة أو بالأحرى شقة زوجة أبيها الجديدة لأن فيها: "امرأة جديدة، وطفل جديد، ووجه جديد يرتديه أبي، شقة تتكون من حجرة نوم واحدة، ومجلسي ضيوف وصالة العائلة تقابل المطبخ. وُضع يزيد في مجلس الرجال، ووضعت أنا في مجلس النساء مقابل صالة الجلوس بلا أي باب يمكن إغلاقه، بلا أي خصوصية، ومع ذلك كنت سعيدة بوجودي هنا في جِدَّة... فلن يختلف الوضع كثيرا لو نمت في أي مكان هذه المرة، ولو كان في المطبخ. وضحكنا بفرح ضحكنا بسعادة وبالقليل من الحزن. في أول ليلة لنا هنا كان العشاء ملكيا. في الليلة التالية كان العشاء قليلا. في الليلة الثالثة لم يكن هناك عشاء"(٣).

حاولت البطلة /الساردة برفقة أخيها تقبل قوانين بيت والدها الجديد، غير أن الأمر لم يستمر طويلا، إذ بدأت زوجة والدها في إجبارها على أعمال البيت من طبخ وتنظيف وتشطيف، ومعاملة قاسية جعلت مسارها الدراسي ينزل إلى الحضيض مجددًا، إلى أن حل اليوم المشؤوم حيث قام والدها بتحريض من زوجته بطرد يزيد من المنزل بسبب سحبه التلفاز إلى مجلس الضيوف ليكمل ألعابه الإلكترونية، فغادر بلا رجعة إلى بيت صديقه وغادرت هي إلى بيت عمها في سلسلة تنقل لا تريد أن تتوقف.

(١) جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، ص٨٠.
(٢) الرواية، ص١٢٠.
(٣) السابق، ص١١٤-١١٥.

✓ **المنزل الثامن:**

في خضم المتغيرات السابقة وتقلبات الزمن، وتنكر والدها وأخوتها، ظلت البطلة/ الساردة تبحث عن منزل يأويها هي وأمها وأخوها الصغير يزيد، فالحصول على أي مكان أو مأوى يليق بهم، وتستقر فيه أجسادهم صار هاجساً وحلماً صعب المنال، في معترك هذه الأحداث والمتغيرات المتسارعة، فما من حل سوى الرضوخ لسلطة هذا الواقع القاسي، تصف ذلك قائلة: "بعد أن استسلمت لواقعي المكرر، وبدأت أتعايش معه بهدوء عجيب أنكرت وجوده هناك في زاوية بعيدة جدًا بأحشاء روحي العصيّة على الوصول تحقق نصف الحلم، ولكن ليس على يد والدي الذي فضل البقاء بعيدًا عن مراكبنا المحطمة، وليس إلى منزل جميل كما كنت أتمنى"[1] ينهض المكان بوصفه العنصر المحدد لنفسية البطلة/ الساردة، كما أن له أثراً كبيراً في تحديد الطبائع النفسية والجسدية لساكنيه وأي خلل يعتور تلك العلاقة التبادلية بين الإنسان وسياقه أو ظرفه المكاني، فإنه يظهر في الجانب السلوكي والنفسي والاجتماعي، وكأن المكان مجال حيوي تتجسد من خلاله وبه حركية العلاقة الجدلية وفاعليتها ...وهي علاقة لا تسير دوماً وفق خط متوازن، بل قد تأخذ خطًّا مزدوجاً متناقضاً، وتبدو أحياناً في حالة من التداخل والتشابك، وفي أحيان أخرى تأخذ جانب التنافر والتباعد، موحية بما يتميز به كل إنسان أو كل شخصية في تعامله مع وسطه المكاني، ومدى تأثره وتأثيره فيه[2].

وسينتقلون مجددا إلى شقة أخيها سلطان الجديدة في حي العزيزية كإجراء مؤقت، وكان من الأحياء الشمالية التي لا يسكنها إلا الأثرياء ذلك الوقت، دام هذا الانتقال أربعة أشهر، ظنًا أن والدها سيرأف بحالهم ويمنحهم بعض الحنان والأمان والمنزل الذي يحلمون به.

✓ **المنزل التاسع:**

بعد عودة أخيها فهد من القصيم حدثت متغيرات جديدة، إذ توظف إماماً وخطيباً لمسجد صغير "**بحي المدائن بجدة**" كما حصل على سكن المسجد، رغم قدمه وتهالكه، إلا أنه كان أحسن مأوى يقيهم من التشرد والضياع، رغم الفقر المدقع واحتياجهم للطعام الذي كان متوافرًا في المنازل السابقة، غير أنهم استمروا بالإقامة فيه زهاء ثلاث سنوات دون مشكلات، تقول: "وقبل أن يحصل فهد على وظيفة في التعليم العام، كان إماما وخطيبا لمسجد صغير ملحق به سكن قديم ومتهالك بجوار الدفاع المدني بحي المدائن. فمرة أستيقظ على صوت أبواق سيارات الإطفاء ومرة على صوت الأذان، ومرة على صوت فهد وهو يصلي المغرب والعشاء بالناس، أو وهو يخطب يوم الجمعة، فلم يعد للنوم سلطان علي صار صوت فهد يتردد في أنحاء هذا البيت كل يوم، مما شرح صدر

(١) الرواية، ص١٢٢.
(٢) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٩٨- ٩٩.

أمي، وملأ قلبها سعادة وبهجة "[1].

كان يذكرها بالبيت الشعبي المستطيل لأنه يشبهه بجدرانه المتصدعة وأبوابه المتشققة، وطلائه الباهت، غير أن أسوأ ما كان يصادفها هطول الأمطار، وتسرب المياه من السقوف والنوافذ، فيغمر الماء ذلك البيت، كان الأمر يضايق البطلة/ الساردة، غير أن أمها كانت ترد عليها بالمرصاد، مذكرة إياها بالماضي:" ألا يكفيك أن لديك مكانا يؤويك بدلاً من اللجوء إلى العيش مع زوجة أبيك أو نساء إخوتك؟ مكانا تتنفسين فيه بحرية دون أن يجبرك أحد على التقيد بأي قوانين؟"[2].

لقد اختارت الساردة/ الكاتبة هذا اللون بالذات من الوصف للمكان/المنزل، لأن تعبيرات هذه الجدران المتصدعة، والأبواب المتشققة تضعنا في سياق الزمن الذي حدثت فيه القصة، والبيئة التي جرت فيها، وعن طرق عيش الشخصية فيها وتفكيرها، إن المكان -هنا- يسهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائماً تابعاً أو سلبياً، بل إنه -أحياناً- يمكّن السارد/ الروائي من أن يحول عنصر المكان إلى أدلة للتعبير عن موقف الأبطال من المكان [3].

✓ **المنزل العاشر:**

تفارق البطلة /الساردة "**حي المدائن**" مرة أخرى، وتنتقل مع عائلتها إلى "**حي النزلة الشرقية**" بجدة، في شقتين منفصلتين قام إخوتها بالتعاون لدفع إيجارها، ولأول مرة ستكون لها غرفة منفصلة تخصها، بعد أن بلغت الواحد والعشرين من عمرها، تقول: "انتقلنا إلى حي النزلة الشرقية في شقتين منفصلتين. كانت هي المنزل رقم (١٠)، ولأول مرة ننفصل عن حي المدائن الذي عشت فيه لواحد وعشرين سنة، ولأول مرة أيضا أستقر مع أمي ويزيد في منزل خاص بنا تكفل بدفع إيجاره إخوتي الكبار الثلاثة، ولم نعد بحاجة إلى مساعدة والدي. لأول مرة منذ خلقت يكون لي حجرة خاصة بي أنا لا يشاركني فيها أحد من الضيوف ولا من أبناء إخوتي، وإن كنت أتشاركها أحيانًا مع أمي التي قلت لها بشك وقلق: «يبقى الحد الآخر من المعادلة»، لكنها طمأنتني بأن ماجد وفهد وسلطان سيتعاونون معًا وسيتكفلون بكل شيء"[4].

كان حيا راقيا ومنظما - هذه المرة - وطرقاته واسعة مقارنة بحي المدائن، يحتوي على العديد من الأسواق الصغيرة والمحلات التجارية، وسوبر ماركت، لذا فقد بدأت تألف العيش فيه، وتنسجم معه بعد كل النضال الذي خاضته لأجل منزل/ مكان.

(١) الرواية، ص١٢٢- ١٢٣.
(٢) السابق، ص١٢٣.
(٣) ينظر: بنية السرد الروائي، ص٧٠.
(٤) الرواية، ص١٢٦.

✓ **المنزل الحادي عشر/ الثاني عشر/ الثالث عشر:**

بعد أن استقرت أجسادهم المنهكة من كثرة التنقل بين الأمكنة/المنازل، أُجبروا مرة أخرى للانتقال في الحي نفسه، لكن لمنزل أقل منه إيجارا، لتخليص إخوتها من غلاء الإيجار، فانتقلت أمها ويزيد له بينما هي انتقلت إلى مرحلة حياتية جديدة بزواجها وإنجابها لطفلين، والتحقت بوظيفة رائعة، بعد تخرجها في الجامعة، تقول: "فانتقلت هي ويزيد بعد أن تزوجت أنا إلى المنزل «**الحادي عشر**» لرخص إيجاره وليس لقربه من شقيقتي أريج كما كانت تحاول أن تبرر لنا أمي، ومنه إلى المنزل «**الثاني عشر**» لرخصه أكثر، والذي عدت لأتقاسمه معهم بعد أن تفاقمت مشاكلي الزوجية وكثرت، فبقيت طوال فترة انفصالي معها. عندما تحسنت ظروف فهد المادية، انتقلنا إلى شقة واسعة وجميلة تكفل بكل شيء فيها، كانت هي المنزل رقم «**ثلاثة عشر**» في الحي نفسه. لم تمكث فيها أمي أكثر من سنتين حتى وافتها المنية. لذلك كرهت الرقم ثلاثة عشر، وتشاءمت منه، فغادرت هذا المنزل، وهجرته إلى شمال جدة"[١]؛ حيث نجد تسارعا في الأحداث وتسارعا في نبض السرد، واختصرت الحديث عن هذه المنازل وأوصافها، اهتمت فقط بالأحداث البارزة فيها، وهو رحيل والدتها "التي غادرت بصمت ودون ضوضاء تسمح بأن نستوعب هذا الرحيل المفاجئ"[٢].

كنا نرى بوضوح تجليات "**الأماكن الجغرافية**" أو "المنازل السابقة" بأوصاف دقيقة لجزئياتها وخصوصيتها؛ بل بحرفيتها، لكن الأمر اختفى إزاء هذه المنازل الثلاثة الأخيرة، حيث أخذت الساردة/ الكاتبة تقتصر على الإشارات الخاطفة في كلامها عنها، دون رسم لتفاصيل هذه المنازل/ الأماكن،

حيث تعتمد على تقنيات التذكر (الارتداد) من الماضي القريب، وعلى تداعي المعاني وما إلى ذلك من أساليب روائية فنية جديدة، رسمت المكان/ المنازل بالمفهوم الجغرافي رسما معتمدًا على التعمية على ملامح جغرافيته، وطمس معالمه، وعدم وصف أي شيء منه، فكأن الكاتبة/ الساردة نفسها لا تعرف معالم أمكنتها، حتى هذا المكان يظل مفترضا لدى القارئ[٣].

والحقيقة أن التغير الأكبر في حياتها حلّ منذ رحيل والدتها، فغرقت في وحدة كبيرة، جعلتها تفكر في السفر، مبتعثة خارج المملكة، وخارج حيز هذا المنزل الذي خيم عليه الحزن الشديد، تقول: "لكن القدر شيء آخر تماما. مرض والدي بعد موت والدتي ولأول مرة أشعر بعجزه وضعفه الشديد. بكيت كما لم أبك من قبل. ولم أشأ أن أسافر وهو بذلك الضعف فبقيت إلى جواره حتى فارقنا بعد رحيلها بثلاث سنوات"[٤].

(١) الرواية، ص١٢٧-١٢٨.
(٢) السابق، ص ١٢٨.
(٣) ينظر: جماليات المكان، ص٤٨-٤٩.
(٤) الرواية، ص١٣١.

كل هذه الأماكن/المنازل قدمت مادة أساسية للكاتبة/الساردة - بدءا من عنوان الرواية - لصياغة عالمها الحكائي، حتى إن المكان أسهم في تقريب العلاقات بين الأبطال أحيانا، أو خلق التباعد والفجوات بينهم في أحيان أخرى، إذ -المكان - هو الذي يسمح برصد العلاقات المتداخلة بين سكان منزل واحد، لأنّ ترصد مثل هذه العلاقات المتداخلة بين الناس يكاد يستحيل في أحياء ذات فضاء واسع(١).

لذا يطالعنا المكان في هذه الرواية كمحرك رئيس، إن لم نقل العنصر المكوّن لهوية البطلة/ الساردة، لأنه يمتلك خصوصيّة معيّنة جعلته يمارس سلطته عليها، وتنعكس آثاره دوما على نفسيّتها الهشة، والواقع أنّ المكان في الرواية استحوذ -أيضاً- على أبعاد الأحداث جميعها، وأشكال تكثّفها، واحتوى على دلالتها ومحمولاتها(٢).

كما تبرز قوة هذه الأماكن/ المنازل وسطوتها على البطلة/ الساردة، وعلى مختلف الشخصيات الأخرى فتؤثر فيهم، بل تنحتهم وتصوغهم على الدوام، ومعلوم أن للمكان أثره في ساكنيه، بل إن المكان بفعل جاذبيته الفيزيائية يشد الإنسان إليه، علاوة على ما يمنحه من بعد نفسي وجداني، ولما يفيضه على الإنسان من روح وكينونة، لأن المكان يتغلغل في أنحاء الجسد ويستقر في صميم الذات، لذلك فهو يشارك في تشكيل وصياغة جانب من جوانب القيم لدى الإنسان(٣).

٣. الأماكن الخاصة والعامة:

أما التقسيم الثاني الذي نصادفه في المتن الروائي للأماكن الواقعية انطلاقاً من مساحتها، فهو نوعان: **المكان المفتوح العام/ والمكان الخاص المغلق**؛ لأن تتبع الأماكن المفتوحة والمغلقة في هذه الرواية من شأنه - أيضاً- أن يغني الدلالات ويوحي بنوعية الشخصيات وخصائصها النفسية والثقافية وبطبيعة الأواصر التي تشدهم إلى بعضهم، ومقدار الانفتاح والمواصلة التي يتمتعون بها حيال العالم، ومن -هنا- جاءت عملية الصراع الجدلي بين الأماكن المفتوحة والمغلقة، بل لعلها من أبرز الثنائيات المتصارعة التي ظهرت وهيمنت على مسيرة الرواية العربية المعاصرة، فالفرد يتناوب في الانتقال بين أمكنة تكاد تشكل علبًا مغلقة لأصحابها وبين أمكنة أخرى أكثر سعة وانفتاحا وتفاعلا مستمرا مع الحياة(٤).

(١) ينظر: بنية النص السردي، ص٧٢.
(٢) ينظر: جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، ٨٤.
(٣) ينظر: جماليات المكان، ص٧٦.
(٤) ينظر: أنواع المكان الروائي، ص١٠.

٣. ١ . المكان المفتوح العام

المكان المفتوح هو المكان المشاع للجميع، حدوده متسعة ومفتوحة كالمدارس والشوارع، قد يقترن المكان المفتوح في الأذهان عادة بالحرية، والسعادة، والفرح، والحالة النفسية المستقرة(١).

وتتميز الأماكن العامة في الرواية بأنها "**متحركة**" و"**انتقالية**" أي **غير ثابتة** "فالبئر والمقهى والكوخ والغرفة والشارع والصحراء، هي أماكن غير ثابتة؛ أي أماكن متحركة، وحركتها تتجاوز وضعها تشمل أماكن عامة في الذات وفي المجتمع... أي لها مقوماتها المادية التي تتداخل مع موضوع الرواية، بوضع يمكنها إكسابه هوية خاصة، في ضوء ذات الكاتب أو في الذات الاجتماعية"(٢)، ويمكن تصنيفها كالآتي:

✓ **المقهى:**

احتوى المنزل الأول بجِدّة على "مقهى" ملك لوالد البطلة/ الساردة، كان وجهة أولى للزبائن والمسافرين من "مكة والباحة والطائف "الذين يقصدون جِدّة للسياحة أو الاستجمام، غير أن والدها باع مصدر دخلهم ورزقهم الوحيد، لذا فبعض الأمكنة لها خصوصيات تجعلها دائماً مادة دسمة في الرواية خاصة "المقهى" ولو تتبعنا تاريخ الرواية في الغرب أو العالم العربي، لوجدنا لهذا المكان حضوراً كبيراً، وهذا الأمر لا يقتصر على الروايات الواقعية، ولكن -أيضاً- في الروايات الجديدة التي ربما لا تتم إلا بوجود المقهى، بحيث يتحول المقهى إلى مسرح منفرد للأحداث، إذ الرواية قابلة لأن تجعل كل الأمكنة مادة لبناء فضائها(٣). ومن الأماكن المفتوحة العامة أيضاً:

- **القرية:** الوادي/ الفناء/ الأكواخ/ التلال/ الصحراء
- **شوارع جدة/** مكتبة والدها / دكان عمي سعيد.
- **المدرسة/** حجرات الفئران/ المدرسة وفصولها/ الثانوية العامة/ جامعة أم القرى.
- **أماكن مقدسة:** المسجد/ الحرم المكي.
- **المدينة الأساسية في الرواية هي: جدة:** شمالها وجنوبها، كما ذكر فيها: حي المدائن/ وحي النزلة الشرقية، إضافة إلى مدينتي " **مكة والباحة**".

٣. ٢ . المكان المغلق الخاص:

لا تخلو الرواية من ذكر أمكنة خاصة مغلقة، حيث يعد المكان "الذي يخص فرداً واحداً أو

(١) ينظر: أنواع المكان الروائي، ص١٠.
(٢) الرواية والمكان، ص٢٠.
(٣) ينظر: بنية النص السردي، ص٧٢.

أفراداً عدة، يتحرك الفرد في دوائر متداخلة من الأماكن تتدرج من الخاص شديد الخصوصية كغرفة النوم إلى العام المشاع بين كل الناس، ولكل من كل هذه الأماكن دلالتها"[١]، لذلك يتصل هذا المكان بالشخصية ويكون منبعا للألفة وبعض الحميمية والخصوصية، لكن البطلة/ الساردة لم تحصل على مكان مغلق خاص إلا فيما ندر:

- في **البيت الثاني الشعبي**: امتلكت حجرة للضيوف تتحول ليلا لغرفة نوم تتقاسمها مع شقيقاتها الثلاث.
- في **منزل أخيها ماجد** حصلت مع أمها على مجلس للضيوف تنام فيه.
- في **منزل زوجة والدها** حصلت على غرفة خاصة لكنها دون باب.
- في **المنزل العاشر** حصلت على غرفة خاصة لكن مع أمها.

٤. علاقة المكان بالشخصيات

ارتبطت الشخصيات في العمل الروائي -بوصفها أحد أهم أعمدة البناء الروائي- ارتباطاً تلازمياً طيلة الوقت بالمكان، فالشخصيات الروائية لا بد أن يضمها مكان تتحرك فيه، ليس بوصفه سطحاً مجرداً ينهض عليه الفضاء الروائي للنص، ولكن بوصفه شريكاً أساسياً في إنتاج عناصر السرد وتفاعلها وامتزاجها [٢]، لذا يمثل المكان عنصرا أساسيا في بنية السرد، لا يقل أهمية عن كونه عنصرا أساسيا في تشكيل بنية الشخصيات -أيضاً-، بوصفها تعمل على تشكيله وتلوينه بلونها الخاص "فالمكان عادة يكتسب نوعا من القيمة والحياة بالنظر إلى من سكنوه أو مروا عبره، فنراه يتغيّر وفقا لأهوائهم وتجاربهم وتطوراتهم، ليمتلك هو الآخر ذاكرة وهوية تحيل إلى من كان فيه، والعكس صحيح أيضا، لما نرى نفسية الإنسان وشخصيته تتغير وتتكيف سلبًا أو إيجابًا بحسب ما يحيط بها من فضاءات، ولذا اختلف تاريخ الإنسان وحضاراته وفق الأماكن التي أقيمت عليها"[٣].

لقد غاب اسم الشخصية البطلة/ الساردة عن مجريات السرد، نظرا لتحدثها بضمير المتكلم في أغلب متن الرواية، والسبب أنها لا تمتلك اسما مميزًا، ولا قبيحًا كما كانت تتخيله، تقول عن ذلك: "اسمي ربما كان هو الأكثر صدقًا من بين الأشياء التي التصقت طوال حياتي كلما حاولت تغييره تشبث بي كطفل ليس عليّ سوى حمله ليكف عن البكاء. عندما كنت في الثانية عشرة من عمري اكتشفت أن من الممكن لأي شخص أن يغير اسمه إلى أي اسم يشاء. وفكرت في أحب الأسماء إلى قلبي. اسمي حَنِين اسمي مَلَك، اسمي عَبِير، اسمي وَلاء. وكنت أجرب ترديد كل اسم

(١) ينظر: أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر دراسة سيمائية، ص١١.
(٢) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٧٥.
(٣) المكان الروائي، ص٢٣.

على حدة، وأتخيل وقعه في أذني حين يدعوني به الآخرون. ولكن استقر اختياري على اسم أماني. وطلبت من أبي تغييره، فضحك وقال لي ليس هناك فرق بين الاثنين، فبقي اسمي القديم عالقًا بي وشافًا عن مضمونه الصادق، فأنا لست إلا مجموعة من الأمنيات لم تتحقق بعد"(١).

هذه الأمنية تثير لدى القارئ الفضول والبحث عن "**اسمها**" المميز الذي ذُكر في مقطع واحد على لسان معلمتها في الصف بعد غضبها وتعنيفها لها، قائلة: "سألتني بخبث: «**نفسيًّة**؟ هل أطلب من المرشدة الطلابية أن تأتي أو تذهبي إليها بلطف الآن لو سمحتي؟ وكانت نبرة التهديد واضحة في صوتها، وعباراتها لا تخلو من تجريح لم أحفل به قالت عفراء تدافع عني: هذه الطاولة أساسا مكسورة، ولم تكن تعلم بأن كسرًا كان يختبئ خلف قناعي الساخر. بات مأوى الشروخ صغيرة تكاثرت وتوغلت حتى لم أعد قادرة على ترميمها"(٢)، تكشف من خلال اسمها علاقتها بمختلف الأماكن/المنازل التي قطنتها وتنقلت بين أرجائها، وتركت فيها جروحا عميقة عجزت الأيام والأحداث عن ردأ صدعها، فخلقت منها شخصية تعيش أسوأ حالاتها النفسية، متمردة، منبوذة، متأزمة، منفصلة عن واقعها، ويمكن اعتبار المنازل الثلاثة عشر البيئة المكانية التي أسهمت في تكوين نفسية هذه الشخصية/ البطلة، بما فيها من اتساع وضيق وشعبية وسجن وانغلاق وانفتاح، وشكلت دافعا "للبطلة/نفسيّة" لكي تبوح بمشاعرها وما يجول في نفسيتها من معاناة، وما شكلته من انطباع ومشاعر تجاه هذه المنازل وقاطنيها (والدها، والدتها، إخوتها، زوجاتهم، زوجة والدها...)، لذلك شكلّ المكان منذ انطلاق الحكي، المرآة التي انعكست على سطحها صور الشخصيات داخل الرواية، وتكشفت من خلاله أبعادها الاجتماعية والنفسية، لأنه يسهم في رسمها بمظاهرها الجسدية ولباسها وسلوكها وعلاقتها بسواها(٣).

٥ . علاقة المكان بالحدث

صحيح أن المكان هو الذي استقطب اهتمام الباحثين؛ وذلك لأن تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل روائي، إذ إنه يقيم صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص، وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي؛ لأن ظهور الشخصيات ونموّ الأحداث التي تسهم فيها هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال، وهذا الارتباط الإلزامي بين المكان الروائي والحدث هو الذي سيعطي للرواية تماسكها وانسجامها، ويقرر الاتجاه الذي سيأخذه السرد لتشييد خطابه(٤).

(١) الرواية، ص٤٦- ٤٧.
(٢) السابق، ص٩٩- ١٠٠.
(٣) ينظر: محمد، عبد الغفار الحسن، المكان والزمان والرؤية السردية في رواية فريج المرر لحامد الناظر، منتدى الرواية، أعمال الندوة رقم ٥، يوليو ٢٠٢٠، ص٥.
(٤) ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص٢٩.

وبناء على ما سبق: فالمكان في الرواية عنصر مهيمن ومتحكم في مسار الأحداث وتتابعها الزمني،

"على الرغم من أن الأحداث لا تتم في الفراغ، فإنها -أيضاً- لا تُفعل بدون شخصيات، فالتمازج بين الشخصية والحدث والمكان، مثلث يصعب على أي روائي الإفلات منه أو تجاهله، أو التخلي عن أحد أضلاعه"(١).

لقد ظلت الساردة / البطلة /نفسيّة حالمة تواقة لإيجاد مكان/ منزل يأوي جسدها وروحها، بعد أن تركت أحداث الرواية ندوبا غائرة، آلمتها بشدة أحاسيس الاغتراب عن واقعها، كما ظل سؤال الهوية والانتماء يلاحقها بسبب اختلافها، فلم تشعر بالانتماء إلى أي مكان/منزل، لكن في لحظة سردية خاطفة انتمت إلى كل المدن بصيغة الجمع، قد تقصد بها (جدة ومكة والباحة) وربما أكثر من ذلك من المدن المتخيلة، حينما قالت: "ولذلك التصق بي لقب ابنة المدن المدللة. لماذا كانوا يعتقدون بأننا مختلفون عنهم، ولماذا كنا نحن نشعر بذلك الاختلاف؟ أبناء جدة كانوا يتوهمون -أيضاً- ذلك، ويصفوننا بالبدو الرحل الذين جئنا وفدوا عليهم من الصحراء، مع أننا لم نكن بدوا، ولم نسكن صحراء في حياتنا قط. وأبناء قريتي كانوا ينظرون إلينا على أننا غرباء عنهم. من المدن، ونتظاهر بأننا ننتمي إليهم. لهجتنا مختلفة عنهم بالتأكيد اكتسبناها من الإقامة بين أهالي جدة، في الوقت الذي تأثرنا فيه بلهجة والدي، خليطا من الاثنين؛ لهجة ذات أصول متعددة، لكنها لم تكن منشأ الاختلاف الوحيد بيننا"(٢).

فالاختلافات كانت كثيرة ومتعددة، وقد جعلتها هائمة باحثة عن ذاتها -منذ بداية السرد- تبحث عن هويتها وانتمائها، ففي بداية شبابها كان كل طموحها الحصول على منزل مستقل آمن، يحمل صفات المأوى الجيد، الذي يقيها من نوائب الدهر وصروفه، رغم أنها حصلت عليه لاحقا، لكن بعد أن سيطرت على روحها الأحزان وكومات اليأس والتشرد والضياع، تقول: "صعدت بالخطوط إلى أعلى وأسفل لأصنع قضبانًا حديدية، ويدين مكبّلتين بالسّلاسل، يدين مستعبدتين. ما زال هناك شيء ينقصها، قطراتٌ من الدماء، أو بيوت مقلوبة وسوداء. ثلاثة عشر منزلا، وظلام يغلف اللوحة. شيءٌ أسود سيكون كفيلا بإزاحة الوقت الخانق والضّباب الذي يغلف روحي"(٣).

على أساس هذا الطرح شكلت كل المنازل/الأماكن التي مرت بها مسيرة حياة البطلة/ الساردة على هندستها ومحتوياتها وأشكالها وحجراتها، مظهراً خادعاً ترتب عليه ذلك التمييز حول فضاءات البيت الضيق/ الشعبي/ القديم/ المتهالك/ السجني/ وحتى البيت الراقي الذي ظهر لفائدته الإجرائية وليس لأحقيته أو وجاهته الخاصة. فسواء كانت علاقة البطلة بالمنازل أم البيوت

(١) ينظر: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص٨٣.
(٢) الرواية، ص٥٨-٥٩.
(٣) السابق، ص١٣٥.

حميمية أو عدوانية، فإنها تُظهر دائماً تنوعا ملحوظا في درجات من التداعي السردي وسيولة في الوصف، وفي إطار تحليل نمو "المكان البيتي" انكشف لنا -أيضاً- ذلك الملمح المخادع في صورة الطابع الموحد الذي يتخذه تشكيل فضاء البيوت، عندما يلغي وجود الإنسان ضمن محيطه، ويقتصر على التصوير الموضوعي لمكونات البيت وأثاثه دون رؤيتها في علاقتها الوجودية مع الإنسان الذي يدركها [1].

لذلك كان الكاتب وحده هو الذي يشيد موقعه الروائي، ويسمح لسلطة المكان أن تطغى "ليس لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه الأرضية التي تشكل الأحداث أو تتحرك من خلالها الشخصيات فقط؛ بل لأنه يتحول...إلى حاضن لبنية الرواية الشاملة، مؤثر فيها من خلال رؤية الإنسان إلى المكان في تفاعله القائم، ومن -هنا- يتجاوز مهمته المحددة البسيطة بوصفه أرضية لوقوع الأحداث وتحرك الشخصيات"[2].

(١) ينظر: بنية الشكل الروائي، ص ٩٩.
(٢) جماليات المكان في الرواية السعودية، ص ٤١.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة توصلت إلى جملة من النتائج منها:

- برز المكان في هذه الرواية بوصفه عنصراً رئيساً في السرد، ومؤثراً في سلوكيات الشخصيات وفي أفعالهم داخل مسار السرد، لأنه يستحيل بناء أي لحظة سردية دون ارتباطها بمكان معين تجري فيه أحداث هذا السرد.

- لم تقتصر وظيفة المكان على كونه أحد مكونات السرد في الرواية، بل امتدت لتشكل المنطلق الأساسي منذ بداية الحكي بتفاصيله السردية، كما شاركت في بناء الحدث الروائي وتشكله.

- تعددت أنواع المكان في الرواية، بناء على تأثيث الكاتبة/ الساردة لكل مكان بأوصاف مختلفة، وهذا يدل على قدرة كبيرة من التخييل.

- خضعت الأماكن/المنازل الثلاثة عشر للحالة النفسية للشخصيات، فانعكست صور هذه الشخصيات وعبرت عن دواخلها، وتكشّف واقعها المرير الذي عاشته فيها، كما أسهمت – أيضاً– في تحديد هويتهم ومصائرهم.

- ظهرت تقاطبات عدة داخل السرد في الرواية، فتنوعت في أماكن الإقامة/ التنقل، أماكن الإقامة الدائمة/ أماكن الإقامة المتغيرة، الأماكن الاختيارية / الأماكن الإجبارية، الأماكن العامة / الخاصة، الأماكن المفتوحة/ الأماكن المغلقة، الأماكن الشعبية/ الأماكن الراقية... كل هذه التقاطبات تدل على ثراء وتنوع المصادر والخلفيات المعرفية للكاتبة/ الساردة التي وزعتها باحترافية على تضاريس نصها السردي.

- أدى التنوع في الأمكنة، إلى تنوع دلالاتها، كما أدى إلى تنوع في أحداث النص السردي، كما حمل المكان هوية الشخصيات وانتماءاتها، وتفاعلاتها اليومية.

مصادر البحث:

- منى الغامدي، أغصان المنازل، دار أدب للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م.

المراجع المعتمدة:

١- إبراهيم، نبيلة، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢- بتقة، سليم، تلمسات نظرية في المكان وأهميته في العمل الروائي، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري – جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، ٢٠١٠.

٣- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٠.

٤- بركة، ناصر، جمالية توظيف المكان في أدب الرحلة في مدينة الضباب ومدن أخرى "لعبد الله ركيبي أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، المجلد ٧، العدد٢١، ديسمبر ٢٠١٥.

٥- البشير، سعدية موسى، أنواع المكان الروائي وبناؤه ودلالته في رواية مرسى فاطمة لحجي جابر دراسة سيمائية، المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد ٤١، أكتوبر ٢٠٢١.

٦- البليهد، حمد، جماليات المكان في الرواية السعودية، دراسة نقدية، دار كفاح للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.

٧- حنطابلي، زوليخة، المكان الروائي بين الإشكالية والجمالية، مقاربة نظرية، مجلة التواصلية (عدد خاص)، الجزائر، مارس ٢٠٢٠.

٨- بوشليقة، رزيقة، المدينة وفلسفة المكان الثقافي في النص السردي الجزائري رواية "نساء كازانوفا لواسيني الأعرج" أنموذجا، مجلة دفاتر المخبر، المجلد ٢٨، العدد١، ٢٠٢٣.

٩- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

١٠- عاشور، عمر، بناء المكان الروائي، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد ٠١، المجلد ٠٦.

١١- عبود، أوريدة، جدلية الوطن والغربة في القصة الجزائرية الثورية، قراءة تحليلية بنيوية في قصة "وجود ... ولكن" لعبد الله ركـيبي، مجلة المعيار، جامعة تيسمسيلت، الجزائر، المجلد ٣، العدد٥، جوان ٢٠١٢.

١٢- عبيدي، مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، (حكاية بحار، الدقل، المرفأ البعيد) منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠١١.

١٣- بوعزة، محمد، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١٠م.

١٤- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: هلسا غالب، المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

١٥- الغانم، غانم بن سليمان، جماليات المكان في رواية (آخر حقول التبغ) لطاهر الزهراني، حوليات كلية اللغة العربية للبنين بجرجا، المجلد ٢٧، يونيو ٢٠٢٣.

١٦- فوغالي، باديس، المكان والزمان ودلالاتهما في الشعر العربي القديم، المعلقات أنموذجا، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، الجزائر، العدد١، المجلد١، ٢٠٠٢.

١٧- قاسم، سيزا، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤.

١٨- لحميداني، حميد، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١.

١٩- محمد، عبد الغفار الحسن، المكان والزمان والرؤية السردية في رواية فريج المرر لحامد الناظر، منتدى الرواية، أعمال الندوة رقم ٥، يوليو ٢٠٢٠.

٢٠- مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.

٢١- مرين محمد عبد الله، وتحريشي محمد، حداثة مفهوم المكان في الرواية العربية، رواية وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثي أنموذجا، مجلة دراسات، جامعة طاهري محمد بشار، الجزائر، العدد١، المجلد ٥، جوان ٢٠١٦.

٢٢- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان.

٢٣- نجمي، حسن، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

٢٤- نصيرة، زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد٦، جانفي ٢٠١٠.

٢٥- بن هاشم يمينة، يعيشاوي حنان، جماليات المكان في رواية كماراد رفيق الحيف والضياع للروائي حاج أحمد الصديق، بحث مقدم لنيل شهادة الماستر، جامعة أدرار، الجزائر، ٢٠١٧.

Research Sources

- Al-Ghamdi, Mona. "The Branches of Houses." Adab Publishing and Distribution, Kingdom of Saudi Arabia, 1st Edition, 1445 AH / 2024.

Approved References

1. Ibrahim, Nabila. "The Art of Narrative in Theory and Practice." Gharib Library, Cairo, 1992.
2. Battaqa, Salim. "Theoretical Reflections on Space and Its Importance in the Novel." Journal of Laboratory Research in Language and Algerian Literature - University of Mohammed Khider, Biskra, Algeria, Issue 6, 2010.
3. Bahrawi, Hassan. "The Structure of the Novel Form (Space, Time, Character)." Arab Cultural Center, Beirut-Lebanon, 1st Edition, 1990.
4. Baraka, Nasser. "The Aesthetic Employment of Space in Travel Literature in The Fog City and Other Cities by Abdullah Rakebi." Journal of Studies and Research, Algeria, Vol. 7, No. 21, December 2015.
5. Al-Bashir, Saadia Musa. "Types of Novel Space, Its Construction and Significance in the Novel Marsa Fatima by Haji Jaber: A Semiotic Study." Multidisciplinary Electronic Journal, Issue 41, October 2021.
6. Al-Bilhayd, Hamad. "Aesthetics of Space in the Saudi Novel: A Critical Study." Kifah Publishing and Distribution, Dammam, Kingdom of Saudi Arabia, 1428 AH.
7. Bouchelica, Raziqa. "The City and the Philosophy of Cultural Space in Algerian Narrative Texts: The Novel Women of Casanova by Wassini Al-Aaraj as a Model." Journal of Notebooks of the Laboratory, Vol. 28, No. 1, 2023.
8. Bouazza, Mohamed. "Analysis of the Narrative Text: Techniques and Concepts." Ikhtilaf Publications, Algeria, 1st Edition, 2010.
9. Hantabli, Zuleikha. "The Novel Space: Between Problematic and Aesthetics: A Theoretical Approach." Journal of Communication (Special Issue), Algeria, March 2020.
10. Saliba, Jameel. "Philosophical Dictionary." Lebanese Book House, Beirut, Lebanon, 1982.
11. Ashour, Omar. "Constructing the Novel Space." Journal of Arabic Language and Literature, University of Mohammed Khider, Biskra, Algeria, Issue 01, Vol. 06.
12. Abboud, Ouraida. "Dialectic of Homeland and Exile in Revolutionary Algerian Story: A Structural Analytical Reading in the Story 'Existence... But' by Abdullah Rakebi." Journal of Criterion, University of Tissemsilt, Algeria, Vol. 3, No. 5, June 2012.
13. Abidi, Mahdi. "Aesthetics of Space in Hanna Mina's Trilogy (A Sailor's Tale, The Mast, The Distant Harbor)." Publications of the Syrian General Organization for Books, Ministry of Culture, Damascus, Syria, 2011.
14. Gaston Bachelard. "The Poetics of Space." Translated by Ghaleb Halsa, University Institution for Studies, Distribution, and Publishing, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1984.

15. Al-Ghanem, Ghanem bin Suleiman. "Aesthetics of Space in the Novel (The Last Fields of Tobacco) by Taher Al-Zahrani." Annals of the Faculty of Arabic Language for Boys in Jirja, Vol. 27, June 2023.
16. Fougali, Badis. "Space and Time and Their Significations in Ancient Arabic Poetry: The Mu'allaqat as a Model." Journal of Humanities and Social Sciences, Constantine, Algeria, Issue 1, Vol. 1, 2002.
17. Qasim, Siza. "Constructing the Novel: A Comparative Study in Naguib Mahfouz's Trilogy." Family Library, Cairo, Egypt, 2004.
18. Lahmidani, Hamid. "The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism." Arab Cultural Center for Printing, Publishing, and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st Edition, 1991.
19. Mohamed, Abdul Ghafur Hassan. "Space, Time, and Narrative Vision in the Novel Freej Al-Marar by Hamid Al-Nazir." Novel Forum, 5th Session, July 2020.
20. Murtad, Abdelmalek. "On the Theory of the Novel: A Research in Narrative Techniques." Alam Al-Ma'arifa, Kuwait, 1998.
21. Mrin, Mohamed Abdullah, and Tahrishi, Mohamed. "Modernity of the Concept of Space in the Arabic Novel: The Novel Behind the Mirage a Little by Ibrahim Darghouthi as a Model." Journal of Studies, University of Tahri Mohamed Bashar, Algeria, Issue 1, Vol. 5, June 2016.
22. Ibn Manzoor. "Lisan Al-Arab." Dar Sader, Beirut, Lebanon.
23. Najmi, Hassan. "The Poetics of Imaginary Space and Identity in the Arabic Novel." Arab Cultural Center, 1st Edition, Casablanca, 2000.
24. Nasira, Zuzu. "The Problematic of Space and Place in Contemporary Arabic Critical Discourse." Journal of the Faculty of Arts, Languages, Humanities and Social Sciences, University of Mohammed Khider Biskra, Issue 6, January 2010.
25. Ibn Hashim, Yamina, and Yaishaoui, Hanan. "Aesthetics of Space in the Novel Comrade: A Companion of Oppression and Loss by the Novelist Hajj Ahmed Siddiq." A Thesis for Master’s Degree, University of Adrar, Algeria, 2017.